بيت ساحور

صمود وتحديات في وجه الاحتلال

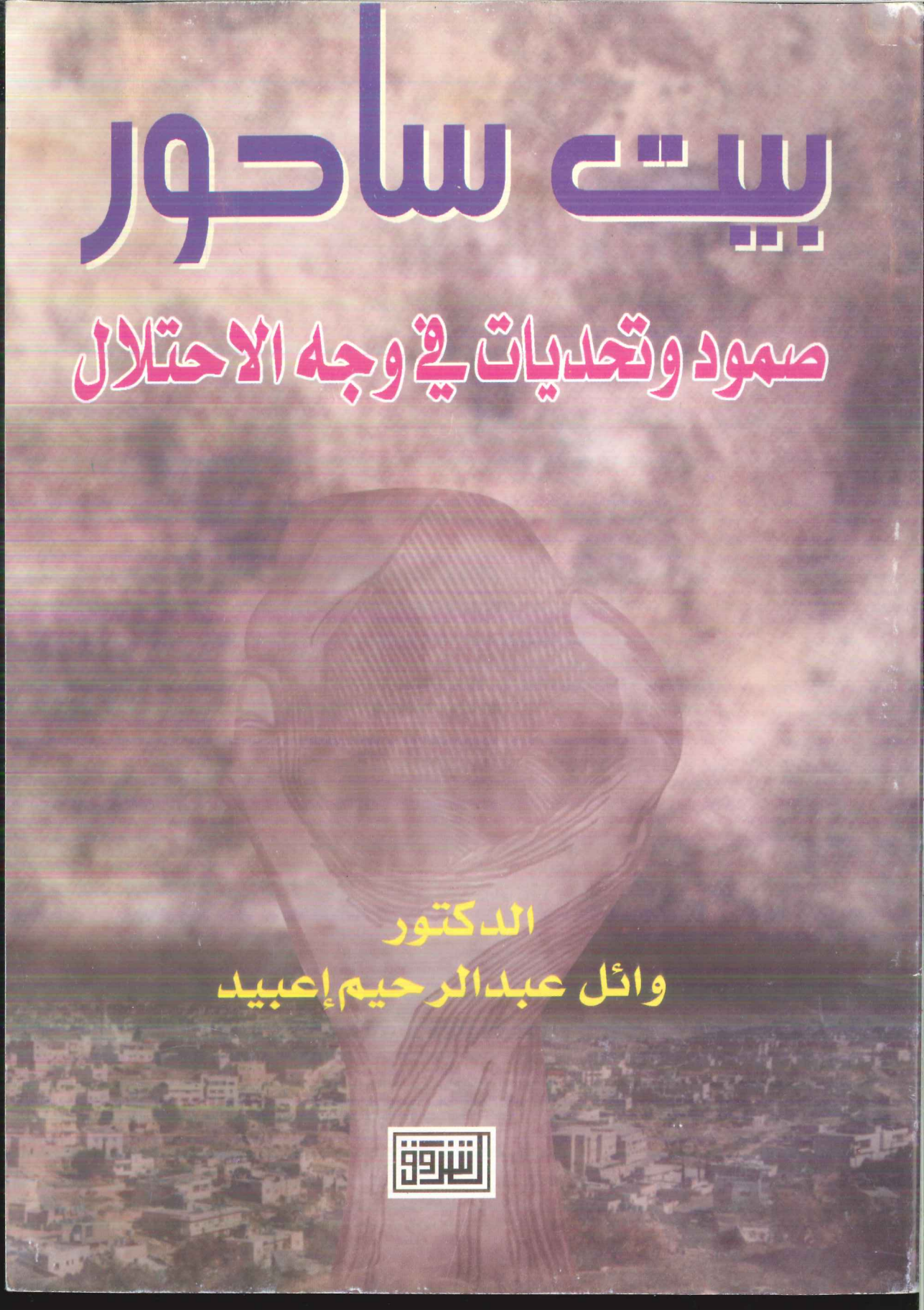

الدكتور
وائل عبدالرحيم إعبيد

الشروق

بيت ساحور

صمود وتحديات في وجه الاحتلال

بيت ساحور

صمود وتحديات في وجه الاحتلال

تأليف

الدكتور وائل عبد الرحيم اعبيد

2000

رقم التصنيف: 956.4051
المؤلف ومن هو في حكمه: وائل عبد الرحيم اعبيد
عنوان الكتاب: بيت ساحور: صمود وتحديات في وجه الاحتلال
الموضوع الرئيسي: 1- فلسطين -تاريخ
2- بيت ساحور- فلسطين- تاريخ
رقم الإيداع: 1717 / 5 / 2000
بيانات النشر : عمان: دار الشروق
● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

ردمك ISBN 9957 - 00 - 100 -0

● بيت ساحور : صمود وتحديات في وجه الاحتلال .
● الدكتور وائل عبد الرحيم اعبيد .
● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول ، إبريل 2000 .
● جميع الحقوق محفوظة © .

دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065
ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان – الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله: المنارة – الشارع المنارة – مركز عقل – التجاري هاتف 02/2961614
نابلس: جامعة النجاح – هاتف 09/2398862

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية
هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص .ب . 926463 عمان (11110) الأردن
Email : shorok Jo@nol.com.Jo

إهداء

إلى والدي ووالدتي

إلى إخوتي وزوجتي وأولادي

إلى الشهداء الذين رووا أرض فلسطين بدمائهم الطاهرة

إلى جرحى الانتفاضة، إلى المعتقلين في سجون الاحتلال

إلى الصابرين المرابطين في المحتل من أرضنا

إليهم جميعا أقدم هذا الجهد المتواضع.

د. وائل عبدالرحيم إعبيد

المحتويات

صور لبيت ساحور ____ 5

مقدمة ____ 11

الفصل الأول

ملامح من جغرافية بيت ساحور

أ) الجانب الطبيعي ____ 15

1- الموقع والحدود والمساحة ____ 15

2- التضاريس ____ 15

3- المناخ ____ 16

ب) الجانب البشري ____ 17

أولا : التطور الساكني ____ 17

ثانيا : العشائر وتجمعاتهم ____ 17

ثالثا : الوضع لاداري ويضم ____ 24

أ) المجلس القروي والبلدي ____ 24

ب) النشاط الثقافي والاجتماعي ____ 26

رابعاً : دور العبادة ____ 32

خامسا : الاوضاع الصحية ____ 33

سادسا : الاوضاع الاقتصادية للسكان ____ 33

سابعا : الاوضاع التعليمية ____ 34

ثامنا : العادات والتقاليد ____ 40

الفصل الثاني

أعمال القمع التي تعرضت لها بيت ساحور

أولا : شمولية الانتفاضة في الأراضي المحتلة ____ 51

ثانيا : إجراءات تعسفية قبل حملة الضرائب في بيت ساحور ____ 58

ثالثا : الحصار العسكري والحملة الضرائبية في بيت ساحور ____ 59

رابعا : الأبطال الذين سقطوا دفاعا عن بيت ساحور ____ 68

الفصل الثالث

دور المدينة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي

أولا : النضال السياسي والشعبي قبل حملة جباية الضرائبة ____ 73

ثانيا : المقاومة الوطنية والعصيان المدني على جباية الضرائب ____ 76

ثالثا : شمولية الانتفاضة والتعاون المشترك في بيت ساحور ____ 87

ثالثاً : حركة التضامن مع سكان بيت ساحور ____ 83

الفصل الرابع

الحصار الاعلامي في بيت ساحور

الحصار الاعلامي لبيت ساحور ____ 93

الخاتمة ____ 105

الملاحق ____ 109

1 . بيان صادر عن سفارة دولة فلسطين بالامارات : العصيان المدني في بيت ساحور نموذج للصمود الفلسطيني

2 . ماذا لو عانت مدينة أمريكية مثلما تُعاني بيت ساحور؟

المراجع ____ 115

صور لمدينة بيت ساحور عام 1988

مقدمة

إن انتفاضة شعبنا العربي الفلسطيني لم تأت صدفة فهي امتداد نوعي للثورات الفلسطينية منذ عام 1936م، كما أنها أسلوب نضالي حضاري عصري للثورة الفلسطينية المسلحة تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات والمستجدات على صعيد الثورة الفلسطينية والأراضي المحتلة والكيان الإسرائيلي والساحتين العربية والدولية.

ومدينة بيت ساحور إحدى المدن الفلسطينية الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1967م، وقد تعرضت كغيرها من مدن وقرى فلسطين للحصار والمصادرة وغيرها من الأساليب العدوانية التي تشنها سلطات الاحتلال.

وكانت بيت ساحور رمزاً لهذه الانتفاضة لأنها أول مدينة تعلن العصيان المدني ولأنها تمثل الوحدة الوطنية والموقف الفلسطيني الموحد في وجه المحتلين الذين داهموا البلدة واعتقلوا الكثير من السكان وصادروا ممتلكاتهم تحت اسم الضرائب.

كل ذلك دفعني للكتابة بهذه الموضوع بهذف طرح الحقائق والمعلومات عن واقع شعبنا في فلسطين المحتلة بشكل عام وبيت ساحور بشكل خاص أمام المهتمين في هذا المجال للإسهام في مهمة التخطيط وتطوير العمل المشترك، إضافة إلى الاستفادة منه في القاء نظرة شاملة على صمود وتحدي شعبنا الفلسطيني في الأراضي المحتلة للعدو الصهيوني وسياسته القمعية، واشتمل الكتاب على أربعة فصول.

تناول الفصل الأول ملامح من جغرافية بيت ساحور من حيث الجانب الطبيعي والجانب البشري.

وفي الفصل الثاني تناول أعمال القمع التي تعرضت لها بيت ساحور في حصار عسكري وحملة ضرائبية مدتها اثنان وأربعون يوما، وخرجوا منها حاملين معهم ممتلكات المواطنين المصادرة إضافة إلى ضحايا الحملة العسكرية من أهالي وسكان بيت ساحور.

أما الفصل الثالث فقد تحدث عن دور المدينة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي- فدعت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة إلى تصعيد الانتفاضة تأييداً لبيت ساحور، وعلمت الانتفاضة الشعب الفلسطيني التعاون والتضامن ومد يد العون لمن يحتاج.

والفصل الرابع تناول الحصار الاعلامي في بيت ساحور، فحاولت إسرائيل الحفاظ على هدوء الحملة العسكرية على المدينة، غير أن الأهالي قرروا المواجهة وتحطيم التعتيم الاعلامي والسياسي، وتم فك عقدة لسان الصحافة الإسرائيلية، وتحدثت عن النجاح الوهمي الذي أحرزته السلطات الإسرائيلية في بيت ساحور.

واختتم الكتاب بمجموعة ملاحق وصور.

وفي الختام أضع هذا الجهد المتواضع بين أيديكم راجيا أن ينال اهتمامكم وعنايتكم، الله الموفق.

د. وائل عبدالرحيم.

الفصل الأول

ملامح من جغرافية بيت ساحور

أ) الجانب الطبيعي: لمحة تاريخية

بيت ساحور وتعني الساحرة أو الراعي، بينما يعتقد بعض الباحثين[1] أنها جاءت من كلمة ساحر إذا سُحر الرعاة في هذا المكان ببشارة الملائكة لهم بمولد المسيح عليه السلام، وكلاهما متصل بقصة الميلاد التي أصبحت مدينة بيت ساحور مرتبطة بها ارتباطا وثيقاً[2].

الموقع والحدود والمساحة

تقع بلدة بيت ساحور على بعد كيلو متر واحد شرق بيت لحم، يكاد العمران يتصل بينهما، ولولا وجود نواة قديمة للبلدة لعدت ضاحية من ضواحي بيت لحم[3].

وتقوم نواة البلدة على ربوة تتدرج في الارتفاع من حقل الرعاة تجاه مرتفعات بيت لحم فيما يُعرف باسم أقدام الجبال، حيث تتلاصق إلى حارات صغيرة، وقلما ترتفع المباني في الجزء القديم من البلدةعن طابقين، وكان هذا التجمع المتلاصق من المساكن في الماضي يخدم غرضين: الأول: دفاعي في زمن الفوضى واضطراب الأمن، والثاني: اقتصادي لاستغلال أكبر مساحة ممكنة من الأرض الصالحة للزراعة[4].

واتجه التوسع العمراني في البلدة حديثا نحو الشرق على محورين رئيسيين: الأول: محور جنوبي شرقي باسم شارع سطيح، والثاني: محور شمالي شرقي باسم شارع الرعاة، وتشير هذا لمباني الجملية إلى غنى أصحابها[5]، علما بأن معظم بيوت البلدة بنيت بأيدي أبنائها، حيث أنهم اشتهروا بحرف البناء وتنظيمه.

ويحد بيت ساحور شمالا سورباهر وخربة أم العصافير وخربة لوقا، ومن الشرق زعترة والعبيدية، ومن الجنوب تقوع وزعترة، ومن الغرب بيت لحم[6].

---

(1) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج8، ق2، ص202، في ديار بيت المقدس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

(2) محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ط2، 1996م، الأهلية للنشر والتوزيع، ص 189، الفجر /1984/3 1م.

(3) كل مكان وأثر في فلسطين، ترجمة ومطالعة عيد حجاج، ط1، عمان 1990 منشورات مركز الدراسات العبرية/ الجامعة الأردنية، ص 97، محمد شراب، معجم، ط2، ص189، محمد برهوم قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطاني، ط1، عمان، 1990، دار الكرمل، ص 35.

(4) الموسوعة الفلسطينية، ج1، ص 450، القسم العام، م1، ط1، 1984، دمشق.

(5) الموسوعة الفلسطينية، ج1، ص 450.

(6) الموسوعة الفلسطينية، ج1، ص 450.

أما مساحة بيت ساحور فتبلغ حوالي(128) مئة وثمانية وعشرين دونماً، وتحوز على أرض مساحتها سبعة الاف دونم[1].

التضاريس

تتكون معظم مساحة أرض بيت ساحور من السهول الواسعة وبعض المرتفعات والخرب، فيعد السهل الشرقي من أخصب أراضي البلدة الذي يُسمى «حقل الرعاة» نسبة إلى الرعاة الذين كانوا يحرسون مواشيهم وأقيم فيه دير يُسمى «دير الرعاة» وللشمال منه خربة «سيار الغنم» أو «سير الغنم»[2]، وخربة أم العصافير التي تقع في شمال البلدة بها مغارات منقورة في الصخر، وخربة لوقا وتحتوي على بناء مُهدم وبركة منقورة في الصخر، وخربة «القسيس» وتقع شرق بلدة بيت ساحور، وتحتوي على أساسات جدران مرصوفة بالفسيفساء وصهاريج منقورة في الصخر ومدافن»[3].

المناخ

من الصعب معرفة مناخ بيت ساحور منفردا عن باقي بلدان فلسطين، ويمكن القول إن مناخ فلسطين انتقالي بين مناخ البحر المتوسط، والمناخ الصحراوي «القاري»، لذا تكون أمطار بيت ساحور في فصل الشتاء، ويمتد من تشرين الأول «أكتوبر» إلى نيسان «إبريل» والقسم الأكبر من الأمطار يسقط بين شهري كانون الأول ديسمبر «وشباط» فبراير.

والفصول الانتقالية فيها هو الربيع والخريف ويتميزان بطقس جاف تصحبه رياح شرقية آتية من الصحراء، وتكون هذه الرياح عادة حارة جافة تحمل الرمال والأتربة الدقيقة تضايق الناس وتضر بالمزروعات[4].

ويتراوح متوسط درجات الحرارة في بيت ساحور ما بين (10 شتاء و25 صيفا) لأنها تقع في ظل المطر إذ تحجب مرتفعات القدس وبيت لحم الامطار عنها، ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي تهطل على البلدة نحو (375,6 ملم)، في حين يصل المتوسط في القدس إلى (585

(1) محمد برهوم، قاموس القرى الفلسطينية، ط1، عمان 1990، ص 35.
(2) محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ص 190، كل مكان وأثر في فلسطين، ترجمة ومطالعة عيد حجاج، ط1، عمان 1990م، ص 97.
(3) كل مكان وأثر في فلسطين، ترجمة عيد حجاج، ص 97.
(4) قسطنطين خمار، موسوعة فلسطين الجغرافية، مركز الأبحاث، بيروت، شباط 1969، ص 186.

ملم)، وفي بيت لحم يصل إلى (424,4ملم)، وتتغير كمية الأمطار من سنة إلى أخرى مما يترك آثارا سيئة على المحاصيل الزراعية في بعض السنوات[1].

ب الجانب البشري

أولا: التطور السكاني

كانت بيت ساحور قليلة السكان حتى أواسط القرن الثالث عشر معظمهم من الرعاة والنواطير وعمال الأرض، يسكنون المغارات المتعددة، والأكواخ البسيطة إلى أن أخذت موجات جديدة من السكان تلجأ إلى المنطقة هربا من اضطهاد سياسي و وضع اجتماعي، كان منهم العجاجية «عائلات هندي وأبو غنثور» الذين قدموا من بلدة العجاجية في وادي موسى، وسكنوا المغارات الموجودة اليوم تحت عمارة شاهين[2] قرب المسجد العمري.

وكان من البيوت التي شيدت قديما في البلدة بيت أو غنثور الذي ردم قبل عدة سنوات عندما تم توسيع شوارع البلدة وأقيم مكانه حوانيت، وكان لهذا البيت تاريخ حافل، إذ من سطحه كان سكان القرية يقاومون اللصوص والغزاة، فدعي ببيت الناطور[3].

وانتعشت البلدة زمن الانتداب البريطاني وقفز عدد سكانها في عام 1945م إلى 2770 نسمه، وفي عام 1961 وصل إلى 5316 نسمه حسب الاحصائية الأردنية، معظمهم من المسيحيين، أما في عام 1989 فقد زادت نسبة السكان بشكل كبير، حيث زاد على (10) الاف نسمه، وفي عام 1996م بلغ حوالي (15) الف نسمة[4]، موزعين في بلدة بيت ساحور والمدن والقرى قرى الفلسطينية المجاورة، بالاضافة إلى الدولة العربية والأجنبية.

ثانيا: عشائر بيت ساحور وتجمعاتهم

كثيرا ما نجد فروع من عائلات بيت ساحور تنزح من مكانها لتستقر في مكان ما أو بلد آخر طلبا للزرق، أو استجارة بمجير، أو هربا من حادث يخشى عواقبه، إلا أن العلاقات بين الفرع

(1) قسطنطين، موسوعة، ص 186-187، مجلة الكرامة، ص 24، مجلة القبس، عدد 5839، جريدة الفجر /89 10/2، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ق 1، ط1، 1984، ص 450-451.
(2) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج8، ق2، ص471، توما بنوره، افرانا، ص 215.
(3) توما بنوره، افرانا، ص 217.
(4) محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ط1، 1996، ص 189-190، الاسبوع العربي1989/11/13، شؤون سياسية 1989/11/13 الانباء الكويتية1989/10/29.

والأصل بقيت في أكثر الحالات قائمة، فنجد مثلا فرع من حمولة الجرايسه خرج وسكن منطقة الجليل في شمال فلسطين في قرية معلول وطرعان من قضاء عكا، ثم كفر كنا والناصرة، ونزح مرشد أحد أفراد عائلة بنوره مع عائلته إلى شعفاط شمالي القدس، ثم رحل إلى عقربه قضاء نابلس واستقر فيها، تلت ذلك موجات من اللاجئين في القرن السابع عشر وما يليه بسبب الظلم والملاحقات السياسية والفوضى زمن العهد التركي، فلجأ أجداد حمولة القزحة (قسيس وقمصيه وأبو فرحه) من منطقة وادي موسى وسكنوا بيت ساحور، أما عائلة الرشماوي فيقال إن جدها مسلم جاء من رشمه في سوريا، وانضم إلى عائلة القزحة، أما عائلتا أبو سعدي ومصلح فتفرعتا من عائلة أبو فرحه، بينما جاء خلاوي جد عائلة سلسع وشوملي «الجرايسه» من منطقة وادي موسى من مكان يُدعى سلسلع الواقع إلى الشمال الغربي من معان، وبقي العجاجية والجرايسه ردحا من الزمن في بيت ساحور يعملون مزارعين ورعاة لأصحاب أرض أهل بيت لحم[1].

وقدم أجداد حمولة المراشدة من صعيد مصر من رشده قبل 275 سنة كحجاج مسيحيين أيام عيد الفصح واستقروا في بيت ساحور هرباً من الملاحقات الدينية، والتحق جد عائلة كوكالي الذي قدم من الكوكالية في سوريا بعائلة عواد، وقدم أجداد عائلة الشعيبات وعائلة جبران في نفس الفترة من منطقة الشوبك في جنوب الأردن، حيث لا تزال لهم فيها صلة قرابة إلى اليوم[2].

وسكنوا بالقرب من مدرسة دير الروم، وتتكون عائلة أبو فرحه من أربع عوائل هي: الأطرش وهلال واليتيم وصبيحة التي جاءت من وادي موسى.

وفي مطلع القرن العشرين بدأت الهجرة المعاكسة بسبب الضائقة الاقتصادية والفقر والجوع زمن الحكم التركي، والحرب العالمية الأولى وبداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، فمنهم من نزح إلى البلاد العربية، والكثير منهم نزح إلى أمريكا طلبا للأمن والاستقرار والرزق، ومنهم من نزح بعد حرب 1948 وحرب 1967 إلى الدول العربية[3].

(1) توما بنوره، تاريخ بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور، مطبعة المعارف، القدس، 1983، ص 216.
(2) توما بنوره، تاريخ، ص 216.
(3) توما بنوره، ص 221.

جذور العائلات [1]

القمصية: جدهم سلامه خرج من قزحه النبت من وادي موسى سنة 1780م.

سلامه

يوسف

إبراهيم

يعقوب — سلامه — زخريا — عوده

سالم — يوسف — خليل

عائلة بنوره:

جريس (أبو ثريا من صعيد مصر)

عوده — إبراهيم

شحاده — جبر — جبرين

(1) للمزيد من المعلومات عن العائلات يرجى مراجعة كتاب أفرانا، توما بنوره.

عائلة عواد :

عائلة خير :

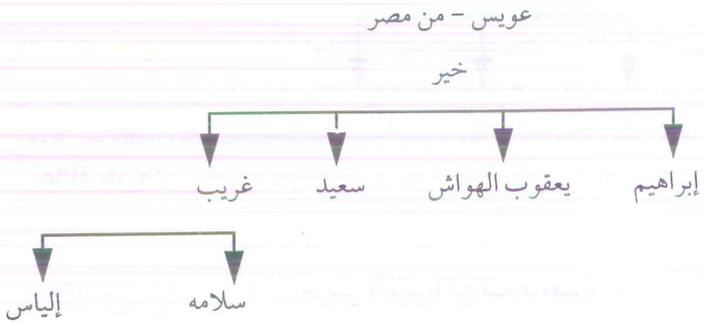

عائلة بدرا :

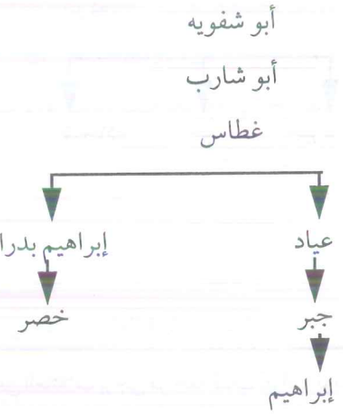

عائلة مصلح :

عائلة أبو سعدي : ويقال أنها فرع من عائلة مصلح .

عائلة القسيس : وهي أكبر العائلات في بيت ساحور ، خرج جدها داود من وادي موسى سنة 1635م .

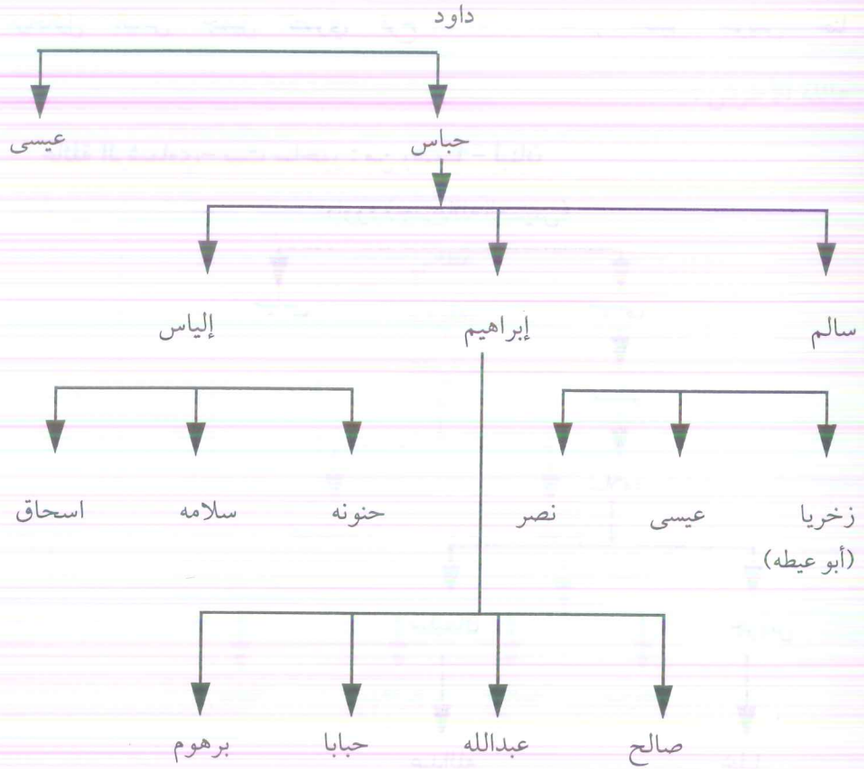

عائلة كوكالي :

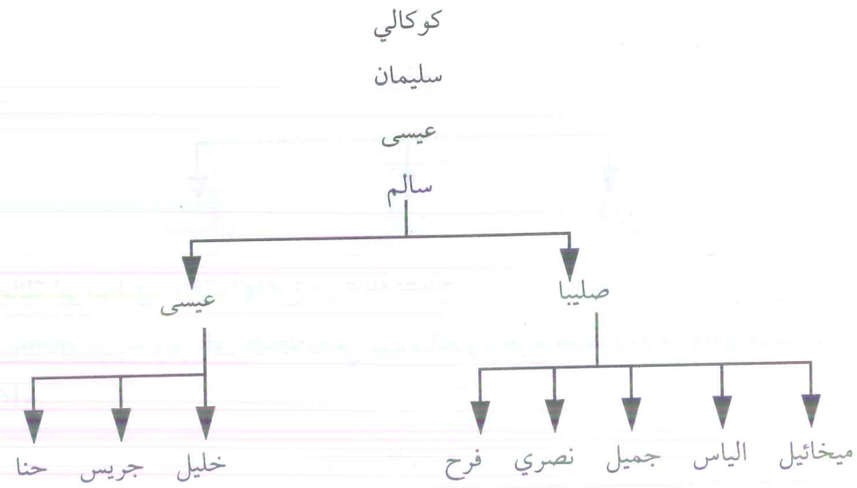

عائلة الرشماوي- بيت ساحور : من رشميا - لبنان

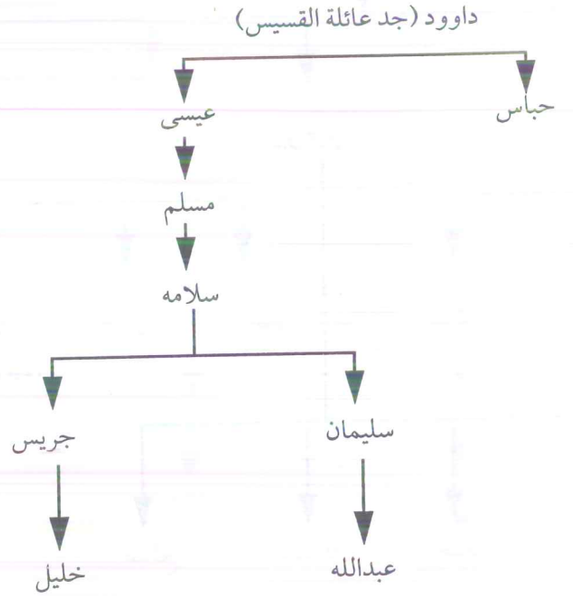

عائلة أبو فرحه :

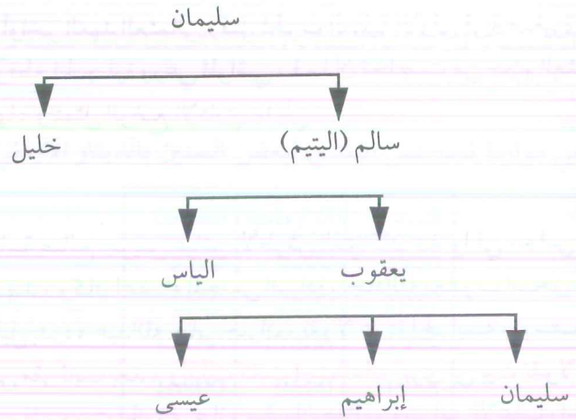

عائلة الأطرش :

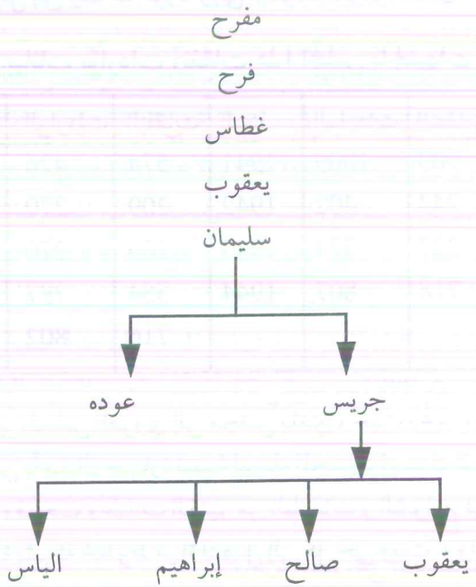

ثالثا: الوضع الإداري

كانت بيت ساحور في أواخر العهد العثماني وقبل الحرب العالمية الأولى قرية صغيرة يشتغل أهلها في فلاحة الأرض وقطع الحجارة ورعي المواشي، فما أن تخلصت من حكم العثمانيين حتى أخذت الحياة تدب فيها، ويتمثل الوضع الإداري بما يلي:

أ) المجلس القروي

تأسس عام 1925م برئاسة صالح جريس عياش الأطرش الذي كان عضوا في مجلس النواب التركي في أواخر ذلك العهد، وكان اعضاء المجلس السادة: جادالله يعقوب اسحق، سعد يعقوب أسعد، إلياس خليل بدره، عبدالله جابر جبران، نقولا عودة الجرايسه ويوسف عيسى مصلح، ولم يكن للمجلس مقر ثابت بعد، ولذلك كانت اجتماعاته تجري في بيت نقولا عوده، ثم في بيت صالح جريس عياش وبيت الخوري عازر سليمان هلال، ويترأس الاعضاء الجلسات كل واحد شهراً.

وتمكنت البلدة في تشييد عمارة لمجلسها عام 1927 الذي لا يزال موجوداً حتى الآن في زاوية تفرع الشارع العام الداخل إلى بيت ساحور، وإلى الجنوب من دير اللاتين[1].

في الجدول الآتي بيانات بواردات ونفقات هذا المجلس بالجنيهات الفلسطينية[2].

السنة	الواردات	النفقات	السنة	الواردات	النفقات
1931	426	574	1941	1009	903
1934	270	209	1942	402	244
1935	270	209	1943	374	227
1937	277	554	1944	807	718
1940	802	716			

وفي عام 1955 تغير المجلس القروي إلى مجلس بلدي، حيث دخلت بيت ساحور في عداد المدن، وقام هذا المجلس بأعمال جبارة نسبة لدخله المحدود فمدت شبكة كهربائية في كل الشوارع، والبيوت، وفتحت وعبدت الكثير من الطرقات و الشوارع في انحاء البلدة، وفي الستينات ربطت البلدة بشبكة خطوط مياة لتصل إلى كل حي وبيت، وامتلكت البلدية أرضا

(1) توما بنوره، ص 232-233.
(2) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج8، ق2، ص472.

مناسبة من صليبا حنا يوسف سالم حبيبة، وأخرى من خضر خليل القنواني شرق أرض مركز جمعية الشبان المسيحية في البلدة لتكون ملعبا رياضيا لشبابها، و غرست الاشجار على جوانب الشوارع الرئيسية و في مداخل البلدة، واقامت اسواقا عامة حديثة في وسط المدينة افتتحتها البلدية في 1972/5/12م[1].

وها هي موازنة للمجلس البلدي لبعض السنين بالدينار الاردني[2].

السنة	الواردات	النفقات
1956	6200	3500
1957	3600	4500
1958	11400	12100
1965	9600	16800

وبعد عام 1968 عقد لقاء بين رئيس بلدية بيت ساحور «نقولا أبو عيطه»، وأحد كبار جهاز الحكم العسكري الإسرائيلي «شلومو خياط» اطلع في الحاكم العسكري على احتياجات البلدة الضرورية، فطلب الحاكم العسكري من رئيس البلدية إعداد مخطط هيكلي للبلدة لمعرفة مقدار المبالغ التي يمكن تقديمها للمجلس، ولكن الشركة الإسرائيلية لتي رسمت المخطط حددت حدود البلدية في منطقة ضيقة يصعب فيها تطوير وتوسيع البلدية، وحصر المنطقة الحرفية في منطقة صغيرة على الرغم من وجود عدة حرف مختلفة في البلدة، وحرمها من المناطق الزراعية وخصوصا مناطق تطوير زراعية لتربية الأبقار والأغنام والدجاج، وحرم المخطط البلدة من التطور السياحي كبناء الفنادق والمطاعم والمتنزهات ومحلات بيع المصنوعات السياحية مع أن بيت ساحور تعد منطقة سياحية[3]، ولكن وبالرغم من كل هذه الاعاقات لم يترك المجلس البلدي جهداً في إقامة المنشآت من أجل تقديم وتطوير بيت ساحور في شتى المجالات و على قدر الإمكانات المتاحة، فقامت البلدية بتوسيع شارع المرج- البريد ليصبح عرضه 15 متراً[4]، وأصدرت البلدية خلال عام 1988م، حوالي 12رخصه بناء، ولا تزال البلدية تعمل على تطوير بيت ساحور حتى الآن.

(1) توما بنوره، افرانا، ص 234.
(2) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج8، ق2، ص473.
(3) محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ط2، 1966م، ص 189، البيادر السياسي، 1984/8/14.
(4) جريدة القدس1987/7/5م.

ب) النشاط الثقافي والاجتماعي

تأسس في بيت ساحور مجموعة من الجمعيات والنوادي والاتحادات كان أهمها :

أ) الجمعية الخيرية الإسلامية

التأسيس :

أنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية عام 1953 بهدف المساعدة في خلق المجتمع المتكامل، مجتمع كما وصفه رسول الله (ص) بقوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، فكان التكافل المحلي أولى أولويات المؤسسين الذين عكفوا على إخراج فكرة إنشاء الجمعية إلى حيز الوجود عام 1958م، حيث اتخذت مقراً لها في إحدى غرف التدريس بجامع عمر بن الخطاب بوسط المدينة، ونذكر من بين هؤلاء المؤسسين السادة التالية أسماؤهم : داوود سلامه مسلم، عبدشاهين هندي، موسى جمعة يونس، خليل فياض جبرين، خضر خليل أحمد، عيسى عبد الله جابر، محمود جاد الله نوفل، درويش عطية عوض، محمد فياض جبرين.

الأهداف :

كانت الأهداف المرسومة للجمعية كما وردت في نظامها الداخلي، العمل على جمع كلمة المسلمين والارتقاء بشؤونهم الدينية والثقافية والاجتماعية، ومساعدة الفقراء والمحتاجين دون تمييز، إضافة إلى الاتصال بالمغتربين وذوي الإحسان لجمع التبرعات وتوزيعها على الفقراء، والاشتراك الفعلي في تدبير أمور المسلمين وإخواتهم من الطوائف الأخرى بما فيه منفعة للمصلحة العامة والاعتناء بجامع المدينة، إضافة إلى إنشاء مركز رياض للأطفال ومدرسة ابتدائية تكون نوة لمدرسة ثانوية شاملة.

تطور الجمعية

تطورت الجمعيةبشكل ملحوظ وامتدت خدماتها إلى المجتمع بشكل عام، حيث قامت عام 75 بشراء قسم من قطعة الأرض الوقفية المعروفة «خلة الجامع» في موقع الصوانة، وقامت ببناء مقر دائم للجمعية ومدرسة نموذجية مؤلفة من طابقين، ثم إضافة طابقين جديدين للمدرسة في مطلع عام 1999/98م، حيث يدرس بها لغاية الصف الخامس الأساسي، ويبلغ عدد الطلاب والطالبات 218 طالبا وطالبة، بالإضافة إلى استخدام الطابق الرابع كقاعة أفراح ومناسبات اجتماعية وثقافية.

وركزت الجمعية على النشاطات التثقيفية في المجالات المختلفة الصحية والتربوية والمهنية، وإقامة العديد من الدورات التعليمية في مجال علم الحاسوب من خلال مركز الكمبيوتر المتطور الذي عكفت الجمعية على تزويده بأحداث الأجهزة والبرامج العالمية.

اما من الناحية الإدارية فقد تم تشكيل لجان تابعة للهيئة الإدارية أهمها اللجان الثقافية والاجتماعية والرياضية، وكذلك تشكيل فريق لكرة السلة وآخر لكرة القدم، حيث التحق هذا الاخير باتحاد شباب بيت ساحور لغاية الآن، كما وقامت الجمعية بعدة نشاطات رياضية من مهرجانات للمصارعة شارك فيها العديد من أبطال هذا الوطن، والجمعية فاعلة في كافة الأنشطة مع النوادي والمؤسسات الأخرى بالمدينة، حيث تشارك سنويا في سباق الضاحية السنوي الذي يقيمه نادي الشباب الثقافي، حيث يحظى هذا السباق بمشاركة دولية، وكذلك قامت الجمعية بالمشاركة محلياً في سداسيات بيت لحم الرمضانية وغيرها من النشاطات.

اما من الناحية الاجتماعية فقد قامت الجمعية بتقديم المساعدات النقدية والعينية للمحتاجين وإلى طلبة المدارس والجامعات، وبادرت في مطلع عام 85 إلى إنشاء مستوصف طبي قدم العلاج والأدوية لأبناء هذا البلد إلا أنه أغلق نتيجة عدم توفر الإمكانيات وضيق المقر.

وعن الجميعة أثناء فترة الانتفاضة فقد بادرت الجمعية مع المؤسسات الاخرى بالمدينة بتشكيل لجنة مؤسسة بيت ساحور والتي كان من أهم مهامها تقديم الخدمات الإنسانية والإعانات للمتضررين ومتابعة قضايا للمعتقلين عن طريق توكيل المحامين للدفاع عنهم وجمع التبرعات العينية والنقدية من أجل إتمام هذه الأهداف النبيلة، وقد عانت الجمعية كغيرها من المؤسسات من قمع الاحتلال وبطشه، حيث قامت السلطات الإسرائيل بفصل أربعة اعضاء من الهيئة الإدارية للجمعية، الأمر الذي أثر في مسيرة تطورها.

إن الجميعة لم تقف مكتوفة الإيدي جراء هذا التعسف، وبادرت بالاتصال بالمؤسسات الإنسانية غير الحكومية من أجل مد يد العون للجمعية، وقد كان لاستجابة بعض هذه المؤسسات أثرا كبيراً في تطور خدمات الجمعية، حيث تم تزفيت ملعب الجمعية و عمل معلب نموذجي آخر لكرة السلة والطائرة، وكذلك بعض الاصلاحات الداخلية للمبنى.

وعلى الصعيدالتعليمي فقد تم افتتاح مركز الكمبيوتر آنف الذكر وهو مجاز من وزارة التربية والتعليم ويحتوي على عشر اجهزة حديثة وثلاث طابعات، والمركز حاليا نشيط جدا من حيث عقد الدورات المتخصصة في مجال علم الحاسوب كدورات WINDOWS,DOS وغيرهما، إضافة إلى دورات تقوية لطلبة التوجيهي خلال العطل الصيفية.

ويأمل أعضاء الجمعية أن يتطور عطاؤها في عهد السلطة الفلسطينية لتتمكن من تحقيق كامل أهدافها ومزاولة نشاطاتها على أكمل وجه وتكثيف الدورات في مجال علم الحاسوب والرياضية كدورات الكراتية والمصارعة، وكذلك دورات مهنية في مجال التبريد والتكييف التي تقدم مجاناً للأسرى والمحررين من أبناء هذا الوطن المعطاء.

هذا وتواصل الجمعية حاليا مساعيها لاستئجار باقي قطعة الأرض الوقفية والبالغة مساحتها خمسة دونمات، من أجل بناء مدرسة نموذجية لخدمة أبناء البلد والمنطقة على حد سواء، إضافة إلى التعاون مع مؤسسات بيت ساحور من أجل تطوير المدينة خاصة مع حلول عام 2000 من خلال المشاركة في لجنة تطوير مدينة بيت ساحور.

إن الجمعية شأنها شأن جميع مؤسسات بيت ساحور تؤكد على العلاقات الأخوية الصادقة والتكامل الشريف الذي يجمع مختلف الطوائف الدينية في البلدة ويصهرها معاً في سبيل النهوض بالأمة ورص صفوفها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، لما فيه خير هذاالشعب العظيم، ولتكون بين ساحور كما كانت دائما قدوة ونبراسا للتآخي والتفاهم والمحبة بين أبناء الديانات السماوية جميعا[1].

ب) جمعية أبناء الطائفة الأرثدوكسية للإسكان

تم وضع حجر الأساس لمشروع بناء الوحدات السكنية لجمعية أبناء الطائفة الأرثدولسية التعاونية للإسكان يوم الأحد الموافق 1996/10/27م، وقد حضر الاحتفال مجموعة من الشخصيات السياسية والشعبية الفلسطينية.

وخلال الاحتفال قام السيد داوود الزير عضو المجلس التشريعي بابلاغ الجمعية باستعداد مؤسسة بكدار لتعبيد شوارع منطقة مشروع الاسكان على نفقتها كدعم لمشاريع الاسكان التعاوني، و بعد الافتتاح توجه الجميع إلى حفل الغداء المقام على شرف الحضور.

ويذكر أن مشروع الإسكان المذكور قد تم فوق أرض كانت مهددة بالمصادرة من قبل السلطات الإسرائيلية، وسوف يساعد هذا الاسكان في المحافظة على هوية المنطقة، كما يتوقع بطريركية الروم الارثوذكس بالتبرع بعشرين دونما جديدة لمشاريع إسكان مماثلة لأبناء الطائفة.

هذا وقد كانت الجمعية قد تلقت مساعدة عاجلة من السيد ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية بقيمة 50 الف دولار، وذلك لدى زيارته إلى بيت لحم في 1996/10/22م، وفيما يلي نبذة عن تاريخ الجمعية.

(1) مجلة بيت ساحور، شهرية تصدر في عمان، 99/98، ص 8-11.

* سجلت الجمعية رسميا في 1993/1/1م.

* من أوائل الاشخاص الذين عملوا على تأسيسها قدس الاكونوموس سابا خير، وأبناء الطائفة الارثوذكسية السادة د. جورج رشماوي، د. جورج نقولا عواد، م. لورنس خير، والقاضي نصري عواد، والأستاذ ميخائيل مصلح، والأب إبراهيم خوري.

* تضم في عضويتها 120 عضواً.

* يشترط في عضو هذه الجمعية أن يكون من أهالي مدينة بيت ساحور غير المقيم خارجها بصفة دائمة أو من سكانها الدائمين ومن أتباع الطائفة الأرثوذكسية فيها المتمسك بالعقيدة الأرثوذكسية، وأن يكون رب أسرة ومسؤول عن إعالتها، ويسكن بيتاً بالأجرة، و ليس بإمكانه بناء مسن خاص به من موارده الخاصة، أو أن يكون رب أسرة ومعيلاً لها ولا يملك البيت الذي يسكنه ملكيه خالصة، وأن يكون قد أتم الثامنة عشرة من عمره، وأن لا يكون عضواً في أية جمعية إسكان أخرى تتعاطى العمل ذاته.

* تعتمد الجمعية في تغطية التزاماتها المالية على اشتراكات الاعضاء الشهرية، ويبلغ الاشتراك الشهري لكل عضو 50ديناراً أردنياً[1].

ومن الجمعيات الأخرى التي أسست في بيت ساحور جمعية تنمية الأسرة الخيرية، والجمعية الاستهلاكية التعاونية، وجمعية الإخاء التعاونية للإسكان، وجمعية بيت ساحور التعاونية للضمان الصحي، وجمعية التقدم، وكان الهدف من هذه الجمعيات توعية الشباب من خلال إلقاءالمحاضرات والمناظرات والتمثيليات المسرحية الهادفة، وتقديم العون والمساعدة للمواطنين، والنهوض بالبلدة في جميع المجالات[2].

الاتحادات

* الاتحاد النسائي :

تأسس عام 1956م، وتشكلت هيئة إدارية مكونة من سبع عضوات مع الرئيسة، وكان مبنى الاتحاد وقتذاك مكونا من غرفتين إحداهما للإدارة، والثانية روضة أطفال، وتم بعد ذلك استئجار مقر جديد للاتحاد افتتح فيه روضة وقسم لتعليم الخياطة، وفي عام 1968م، تم بناء أول مقر للاتحاد بالتعاون مع الاتحاد اللوثري العالمي.

(1) مجلة بيت ساحور، ص 14-15.
(2) القدس 1987/5/7م.

ومن نشاطات الاتحاد تقديم القروض والمساعدات لذوي الدخل المحدود، وفتح عيادة طبية شبه مجانية؛ لأن المنطقة تعاني من نقص في الخدمات الطبية، إضافة إلى ارتفاع رسوم المستشفيات وغلاء الأدوية واعداد دورات تعليمية لمحو الأمية، ودورات للارشاد الصحي.

وللاتحاد ثلاث لجان نشطة هي الفنية والثقافية والاجتماعية، تعمل بإشراف الادارة الداخلية، وبالتنسيق مع المؤسسات العاملة الاخرى في البلد.

وفي الاتحاد نادي يضم مجموعة من الفتيان والفتيات يتدربون على أداء الاغاني الوطنية والدبكة.

ويقوم الاتحاد اللوائي بالقدس واتحاد الجمعيات الخيرية في عمان بتمويل الاتحاد النسائي في بيت ساحور، إضافة إلى تبرع مؤتمر جدة الاسلامي بمبلغ 30ألف دينار لحضانة الاطفال[1].

النوادي

1. **مجموعة كشافة أرثدوكسي بيت ساحور، وتتكون من**[2]:

1. جورج صليبا اسحق قائد المجموعة.
2. عيسى صليبا الأطرش قائد الفرقة الموسيقية\أمين الصندوق.
3. ربيع جورج رشماوي قائد الأشبال وسكرتير المجموعة.
4. كريم صليبا كوكلي قائد عشيرة الجوالة.
5. نادر حنا رشماوي مساعد قائد العشيرة.
6. غالب متري إسحق قائد الفرقة الكشفية.
7. فايز بدر مسعد مساعد قائد الفرقة الكشفية.
8. جورج باسيل إسحق قائد زمرة الأشبال.
9. ميشيل جورج قمصية مساعد قائد الزمرة.
10. جانيت يوسف الأطرش قائد المرشدات.

(1) الفجر 83/10/3.
(2) الفجر 83/2/14.

ومن أهم نشاطات المجموعة الكشفية لعام 1982م:

أ) الاستعراضات الكشفية:

1. بالتعاون مع المجموعات الكشفية في الضفة الغربية، شاركت الطوائف المسيحية الشرقية احتفالاتها بعيد الميلاد المجيد، وذلك باستعراض كشفي في بيت لحم يوم الاربعاء الموافق 1982\1\6م.

2. أقامت استعراضا كشفيا من كنيسة الآباء والأجداد للروم الأرثوذكسي في بيت ساحور إلى حقل الرعاة، وذلك يوم 1982\1\7م.

ب) النشاطات الثقافية:

ومن أهمها الأعمال التطوعية، ويبلغ عدد أعضاء المجموعة 310)، مقسمين كالتالي: قادة 10، أشبال 70، زهرات 70، مرشدات 50، جوالة 40، كشافة 70[1].

2-مجموعة كشافة دير اللاتين:

تأسست على يد مجموعة من الشباب المؤمنة بخدمة الوطن والشعب وهم: خليل فرهود، باسم بدرة، جورج جرايسة. وتتكون قيادة المجموعة من قائد عام وقادة الفرق الكشفية الخمس، ويوجد في المجموعة مجلس شورى يتكون من قائد عام المجموعة وقادة الفرق الخمس ومساعديهم، وتوجد للمجموعة لجنة تسمى لجنة الشرف تضم حوالي (30) من شخصيات ووجهاء المدينة، حيث يكون دورهم التوجيه والمناقشة ودعم المجموعة.

وتتكون المجموعة من: زهرة الأشبال، وتتراوح أعمارهم من (7-12) عاما، ويقودها وليام سلسع، وفرقة باقة الزهرات من (7-12) سنة يقودها كل من عبير بدرة وروز فرهود، وفرقة الكشافة للفتيات من (12-18) سنة يقودها جوزيف حجازين، وفرقة المرشدات من (12-18) سنة تقودها منال قمصيه، وعشيرة الجوالة ويقودها باسم بدره.

أقامت المجموعة مخيمها الكشفي الأول عام 1981م، حيث شارك فيه (50) فرداً من أعضاء المجموعة من كلا الجنسين، ويوجد لجنة شبيبة تابعة للمجموعة يُشارك في أعمالها أفراد المجموعة، حيث تقوم بالعديد من النشاطات الاجتماعية والتعاونية[2].

(1) الفجر 83/2/14.
(2) صوت الشعب، 1983/7/6م.

3. النادي الأرثدوكسي العربي

شكلت هيئة إدارية للنادي مكونة من تسعة أشخاص وهم: د. إلياس سعيد، إبراهيم جابر، جمال بنوره، إلياس نوره، سلام هلال، صليبا رشماوي، إليا متولي، عيسى بشاره، عيسى عواد[1]، وتم تشكيل لجنه رياضة تابعة للنادي الأرثوذكسي العربي مكونة من[2]:

1. ميخائيل رشماوي: رئيس.
2. سعاده الساحوري: سكرتير.
3. فؤاد سعيد: ناطق إعلامي.
4. إبراهيم الهواش: أمين الصندوق.
5. ناجي بطرس: عضو
6. ماجد خير: عضو
7. ماهر الطويل: عضو
8. جورج خير: عضو
9. شوقي الهواش: عضو.
10. عماد الطويل: عضو

وقامت اللجنة الرياضية بأعمال تطوعية كثيرة في البلدة كان منها:

أ) شيدت في البلدة دار للسينما في الخمسينات لكنها أغلقت عام 1975م، وحولت عمارتها إلى حوانيت وشقق سكنية.

ب) افتتحت اللجنة متنزها خاصا للبلدة في الصوانة إلى الشمال الشرقي في بيت ساحور.

ج) قامت اللجنة بعمل تطوعي في الملعب البلدي اشتمل على تنظيف الملعب من القاذورات.

رابعاً: دور العبادة

كانت كنيسة الرعاة مكان العبادة الوحيد للطائفة الأرثوذكسية إلى أن شيد دير الروم مدرسته في وسط بيت ساحور، واستخدمت مدة من الزمن، حتى شيدت كنيسة الآباء والأجداد شرق

(1) الفجر 1987/3/2.
(2) القدس 1987/3/30م.

بيت ساحور عام1893م، في عهد البطريرك «جراسيموس» ودشنت عام 1895م، وكان أول كاهن للطائفة الأرثوذكسية سالم من حمولة القزحة التي دعيت بعائلة القسيس[1].

وفي الوقت الحاضر توجد أربع كنائس لكل من الروم الأرثوذكس واللاتين والروم والكاثوليك والبرتستانت، إضافة إلى دير للراهبات ولمسلمي بيت ساحور جامع قديم (الجامع العمري) يضم حوله أرضا مساحتها دونمان[2]، وكان يمثل المدرسة الأولى في البلدة عند غياب المدارس.

خامساً: الاوضاع الصحية

يوجد في المدينة مركز صحي يضم مجموعة من الأطباء والممرضات، ويقدم الخدمات الطبية للموطنين منها:

قامت لجنة الإغاثة الطبية بيوم طبي لها، وذلك في حي صطيح في بيت ساحور، وتم معالجة اثنتين وعشرين حالة مرضية، وتحويل بعضها للمستشفيات[3].

وقامت يوم 1987/4/7م، لجنة الرعاية الطبية في منطقة بيت لحم بيوم عمل طبي في بيت ساحور وتمت معاينة وفحص ثلاثين حالة مرضية[4].

وقام مستوصف المدينة التابع للجنة الخدمات الصحية بمعالجة ثلاثمائة حالة مرضية، وتم صرف الدواء لهم مجاناً[5].

وفي عهد الانتفاضة المباركة قدم مركز صحي بيت ساحور خدماته المتواضعة كافة لكل الذين سقطوا أو جرحوا من رصاص الاحتلال أثناء حملة جباية الضرائب التي تعرضت لها البلد، ولا يزال يقدم خدماته للمواطنين حتى الآن رغم عرقلة سلطات الاحتلال لذلك.

سادسا: الاوضاع الاقتصادية للسكان

تؤلف الصناعات اليدوية والصناعات السياحية مصدر دخل أساسي للمشتغلين بها رغم المضايقات المستمرة في ارتفاع نسبة الضرائب والغلاء الفاحش والانخفاض في قيمة العملة

(1) توما بنوره، افرانا، ص 217-128.
(2) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج8، ق2، ص472، معجم بلدان فلسطين، ص 189.
(3) القدس 1987/1/5
(4) القدس 1987/4/8م.
(5) القدس 1988/7/21م.

المحلية، ومن هذه الصناعات: صناعة الصوف، والحفر على خشب الزيتون تليها في الأهمية أعمال التطريز وأشغال الابرة[1] ومصنع البراغي، ومصنع قطع دينية سياحية، ومصانع الطوب، ومصنع لقص الأحجار اللازمة للبناء، ومصانع أدوات الكهرباء، ومشاغل الألمنيوم[2]، وتحتل شركة البلاستيك التي تأسست في عام 1957م برأسمال (80.000) دينار أردني المركز الأول، وتعد من أقوى الشركات في الوطن العربي، حيث تبلغ طاقتها الإنتاجية من الأسفنج (9000) كيلو غرام في الساعة، ومن البلاستيك(150) كيلو غرام في الساعة[3]، وافتتح حنا الأطرش رئيس البلدية يوم 1987/4/9م المصنع الآلي للطباعة الفنية بالألوان على الأقمشة التابعة لمصنع النسيج.

ويوجد في بيت ساحور عدد من الورشات الميكانيكية لإصلاح السيارات وتنجيد الأثاث، وفيها مزارع للدواجن وفرنان للخبز، ومجموعة قصابين وعدد من المقاهي والمطاعم، وشركة باصات وعدد كبير من سيارات الأجرة والسيارات الخاصة[4].

سابعا: الاوضاع التعليمية

ذكرت حولية نظارة المعارف العثمانية لعام 1321هـ/ 1903م، أن في بيت ساحور المدارس الآتية:

أ) مدارس الروم الأرثوذكس، وعددها ثلاث مدارس، منها مدرستان للبنين ومدرسة للبنات.

ب) مدارس اللاتين وعددها مدرستان ابتدائيتان[5].

ج) المسجد العمري ويعد المدرسة الأولى للمسلمين.

وافتتحت حكومة الانتداب البريطاني أول مدرسة أميرية في غرفتين إلى الشمال من الجامع الإسلامي، وفي الثلاثينات من القرن التاسع عشر عزمت بيت ساحور على بناء مدرسة تتسع بصفوفها للعدد المتزايد من الطلاب، ففرضت ضريبة فردية على كل ذكر في البلدة، وتم إنشاء المدرسة في المرج شمال بيت ساحور، تبنتها الحكومة الأردنية بعد عام 1949، فوسعتها حتى

(1) محمد سلامه النحال، فلسطين أرض وتاريخ، دار الجليل، ط1، حزيران، 1984، ص 102-103.
(2) الفجر 1984/3/3م.
(3) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ق 2، ص 471، النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص103.
(4) توما بنوره، افرانا، ص 234.
(5) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ق 2، ص474.

أصبحت إعدادية، وفي عام 1970/69م، اصبحت ثانوية، ووسعت مدرسة البنات الابتدائية التي كانت في بيوت مستأجرة إلى إعدادية ثم ثانوية كاملة، هذا عدا المدارس الخاصة ذات المستوى المرموق كمدرسة «سيد الرعاة» لدير الروم الكاثوليك، وتضم الفروع الأربعة من مراحل التعليم- روضة أطفال، ابتدائي، إعدادي، ثانوي كامل، ثم المدرسة الإنجيلية الإعدادية المختلطة، ومدرسة الإناث الابتدائية للاتين، ومدرسة دير الروم الابتدائية[1]، وروضة أطفال الاتحاد النسائي العربي، وروضة أطفال الجمعية الإسلامية[2].

وتُعد نسبة التعليم في بيت ساحور من أعلى النسب في الضفة الغربية، حيث وصل عدد الخريجين الجامعيين في آخر إحصائية 1987م، إلى حوالي (400) خريج، وهذا مرده إلى إصرار الأهالي على تحصيل مستوى علمي لائق لأبنائهم.

ومن أهم المشاكل التي تُعاني منها اليوم بيت ساحور عدم سماح سلطات الاحتلال الإسرائيل بإدخال الأموال من الخارج لتطوير المدينة وإعمارها.

وفي أثناء الانتفاضة المباركة حاولت سلطات الاحتلال طمس التعليم في بيت ساحور فنقل السكان الطلاب إلى المنازل، حيث تحولت المنازل إلى مدارس، وتحولت بيت ساحور من مسيحيين ومسلمين إلى أسرة اوحدة[3].

وقد تم اختيار هذه الأبيات من ديوان شعر انطون الشوملي- أبو الوليد في الاحتفال بتخريج الفوج الأول من طلاب مدرسة الروم الكاثوليك بيت ساحور 1978/5/18م[4]:

كما كات هز في قرطاسه قلماً ... أمضى من السيف في مسودة اللمم
كم بيت شعر قضى من قاله ومضى ... وقوله سائر في العرب والعجم
كم كلمة سحرت لب امرئ فغدا ... يذيقنا السحر بالاوزان والنغم
كم كلمة خلقت شعبا فهب إلى ... نور الحياة فجلى ظلمة العدم
وانهضت أمة من بعد عثرتها ... وفتحت أذن من يشكو من الصمم

(1) محمد برهوم، قاموس القرى الفلسطينية، ص 35.
(2) توما بنوره، افرانا، ص 235.
(3) القبس، عدد 5836.
(4) انطوان الشوملي، ديوان شعر، مركز الدراسات الدينية والتربية في الأراضي المقدسة- القدس، اللقاء 1998م، ص 79-80.

كم دولة دالت من بعد ما شمخت ... لكن دولته مرفوعة العلم

يكفيه مجداً اثيلا لامثيل له ... أن يقسم الله في القرآن بالقلم!

هو الكتاب رفيق عز صاحبه ... ومنبع العلم والآداب والحكم

كم من فتى بات سهرانا يطالعه ... من كان يسعى لنيل العلم لم ينم

يسعى للقياه في شوق وفي مقة ... وفي خشوع كمن يسعى إلى حرم

لا شيء أفضل من علم ومن أدب ... يصاحبان الفتى خيراً من الحشم

تبنى عقول الورى تبنى مداركهم ... فيبصر النور فيها مبصر وعم!

لولا المدارس في دنياك لاندرست ... معالم الدين والأخلاق والقيم

فهي المنائر تهدي الناس من صغر ... وهي الموانئ تحميهم من النقم

نور البصائر يهديهم ويحرسهم ... من زلة الفكر لا من زلة القدم

لولا المدارس ظل الجهل متخذا ... جماجم الخلق أعشاشا من الوهم

ومن علماء وأدباء بيت ساحور

أولا : الشاعر انطون الشوملي : أبو الوليد

* ولد في بيت ساحور في 6 آب 1914م.
* تلقى دراسته في مدارس بيت ساحور وعمان.
* عمل في حقل التعليم في مدارس برقة والرامة وكلية تراسنطا في القدس حتى عام 1938م.
* اشتغل محرراً للزاوية الأدبية في جريدة فلسطين أثناء صدورها في يافا، وكان من الرعيل الأول الذي أسهم في رفع صرح الصحافة في وطننا.
* وقع عليه الاختيار ليشغل منصب مساعد المدير العام لقسم البرامج العربية في الاذاعة الفلسطينية في القدس عام 1938م.
* ثم شغل وظيفة إدارية عالية في قسم البريد في القدس حتى الجلاء البريطاني عن فلسطين عام 1948م.

* عين معلما في كلية المطران حتى عام 1957م.
* في سنة 1957م. انتخب لتنظيم المدرسة اللوثرية الثانوية في بيت لحم، كما تولى إدارتها حتى عام 1972م.
* ثم أسندت إليه وظيفة تدريس الآداب العربية في الكلية الاكليركية في بيت جالا.
* وكان نهاية المطاف في مسقط رأسه في بيت ساحور حيث اشتغل أستاذا للغة العربية وآدابها في مدرسة الروم الكاثوليك في بيت ساحور.
* خلال عمله في التدريس لم يأل جهدا في إثبات عصاميته إذ واصل التحصيل العلمي فنال شهادة البكالوريوس في الآداب من جامعة لندن بدرجة شرف.
* وبالرغم من وضعه الصحي الدقيق فقد أسهم إسهاما كبيرا في الحركة الأدبية في بلده ووطنه عن طريق الأندية والمؤسسات، كما كرس كل جهدة لإعطاء الترانيم الدينية ثوبا جديداً من التعبير الشعري الرائع حتى لقب بشاعر الكنيسة.
* انتقل إلى جوار ربه إثر نوبة قلبية حادة صباح يوم الأحد 25 آذار 1979.

ثانيا : المربي الفاضل «عيسى عطاالله دعيس»

تسعون عاما ولا يزال العطاء مستمراً، وهو من رواد التربية والتعليم، وهو من مواليد بيت ساحور في 1908/1/10م، يعيش بين كتبه ومؤلفاته بعقليته المنظمة ويقول:

دقت طبول الحرب عام 1914 في بيت لحم لدعوة الشباب للتجنيد في صفوف الجيش التركي، كنتُ طفلاً، وذهب والدي لسوريا للالتحاق وهرب منها إلى الأردن ومكث في مادبا حين تعرضت إلى مرض، ورحّلهم صاحب البيت فالتجأ إلى كهف هناك واشتد المرض وفقد أخاه إليا وأخته حلوه ودفنهم في حفر أمام الكهف، أما والدتي فأخذتها على ظهر حمار إلى بيت ساحور، وبعد رحلة العذاب ماتت عند وصولنا على الفور.

عشت في كنف والدي بضعة أشهر فقط، حيث مات والدي وأنا ابن عشر سنوات فعشت عند عمي ودخلت دار الأيتام «شنلر» وتعلمت للصف السادس ثم تعلمت صناعة الأحذية وعملت فيها، وبعد عام التحقت بدار المعلمين وآن ذاك قمت بتصليح الأحذية في بيت ساحور أثناء العطل.

مرت أربعة أعوام في دار المعلمين وتخرجت سنة 1927 م، متفوقا على جميع أبناء صفي، وألقيت كلمة الخريجين وصنفت معلما في بيت جالا الحكومية ثم نلت بعد الامتحان الشهادة العليا وهي بمستوى شهادة الجامعة في سنة 1929 وعينت مديراً في بيت لحم.

وفي سنة 1954 عينت مفتشا للمعارف من قبل الحكومة الأردنية، وفي سنة 1967م، أحلت على التقاعد بناء على طلبي، وعينت بعدها مسؤولا عن تدريب المعلمين، إلى أن تقاعدت نهائياً سنة 1975.

مؤلفاته :

ألفت كتب مدرسية، منها كتاب (في قواعد اللغة العربية)، وفي سنة 1948 اشتركت بالتأليف مع اسحق موسى الحسيني، وثم مع علي حسن عوده (القواعد) للصفوف الابتدائية والاعدادية مع إبراهيم قطان، وألفت (قالوا بالأمثال) ثم مسرحيات نثرية وشعرية، ثم قصص على لسان الحيوانات وحكايات للأطفال.

ولديه مكتبة عظيمة تحوي أوراق ومخططات، وهو شاعر مرموق.

رتب لوفاته ونقش أبيات من الشعر على شاهد قبره المنتظر هذه الأبيات :

عشت طولا وعرضا وعمقا ... وشهد الحياة قربا وبعدا

في يقيني سر السعادة دوما ... أن تكون الحياة قربا ورداً

فليسامحني من أسأت إليه ... لم تكن الإساءة نحوه عمداً

زوجته ميليا جبران مطر إذ عين والدها مديراً للمدرسة اللوثرية في بيت ساحور وعينت معلمة في بيت لحم ومديرة فيها وتزوجت في أوائل الأربعينات.

ثالثا : جريس حنا قمصيه (أبو جلال) :

ولد في بيت ساحور بتاريخ 1920/2/3، تعلم بمدارس بيت ساحور وبيت لحم وأكمل تعليمه في الكلية العربية بالقدس.

أكمل تعليمه العالي في دار المعلمين بالكلية العربية بالقدس سنة 1938، وحصل على دبلوم في التربية والتعليم، عين معلما في الخليل في 1938/9/15، ونقل إلى وظيفة معلم ومدير للقسم الداخلي بالمدرسة الرشيدية الثانوية، نقل إلى وظيفة معلم بمدرسة بيت جالا عام 1939م، وعاد بعدها إلى القدس معلما في المدرسة البكرية حتى عام 1924م، ونقل معلما في مدرس بيت ساحور الثانوية.

تزوج بتاريخ 1942/7/26 من ماري فرج دعيس، وفي عام 1943 أصبح نائبا لرئيس المجلس المحلي بيت ساحور، وفي عام 1949 انتخب رئيسا للمجلس المحلي، وفي عام 1952 مدير

لمدرسة بيت ساحور الثانوية. وفي عام 1954 صدر قرار من الحكومة الأردنية باعتبار بيت ساحور مدينة يديرها مجلس بلدي برآسته.

في عام 1955 تفرغ لعمله في التربية والتعليم، وفي 1956 عضوا في لجنة الطائفة الأثوذكسية، وفي 1958 عين مديراً لمدرسة بيت لحم الثانوية، عمل بالاشتراك مع أخيه نصري بتأليف كتابين للفيزياء للصفين الرابع والخامس الثانونيين، ثم كتاب العلوم للصفوف الاعدادية من قبل الوزارة.

في عام 1960 عين مساعدا لمدير التربية والتعليم في محافظة القدس، وفي عام 64, 65 عمل موجها للعلوم والرياضيات في محافظة الكرك، وفي عام 66,65 معلما بدار المعلمين في السعودية معارا من الوزارة، وفي عام 66, 76 مديرا لمدرسة بيت لحم الثانوية، في 1967/11/9 مدير التربية والتعليم لمنطقتي بيت وأريحا.

وفي عام 1979 بناء على طلبه أحيل للتقاعد بعد أن أمضى 41 عاماً من العصاء، وفي/1988 7/1م، انتقل إلى رحمة الله تعالى مساء الجمعة، وتخليدا لذاكره اتخذت بلدية بيت ساحور قرارا باطلاق اسمه على مدرسة بت ساحور الثانوية للبنين، إلا أن السلطات الإسرائيلية رفضت ذلك بشدة.

رابعا : المختار عيسى اسحق سالم الساحوري

من مواليد بيت ساحور عام 1922م، جيء به إلى عمان وهو في الشهر الثالث من عمره، درس عند أحد الشيوخ الذين كانوا يعلمون القراءة والكتابة والقرآن الكريم في عمان، ثم انتقال إلى مدرسة حكومية ودرس لغاية الصف الثامن، ولضيق ذات اليد لم يتم تعليمه، وكان لأستاذ اللغة العربية المرحوم عبدالمنعم الرفاعي الفضل في نشأة عيسى اسحق، إذ نمى فيه حب المطالعة والأدب والشعر، وتأثر بتوجيهاته وحفظ الاشعار حتى أصبح له الغلبه بأية مناظره شعرية.

وعندما أصبح في الخامسة عشر من عمره كانت هوايته معرفة كل شيء عن بلدة بيت ساحور، فبدأ يحتك بكبار السن من رجالات بيت ساحور وهم عودة متري القسيس، جادالله يعقوب اسحق، عطاالله عبدالله، عيسى الصوص، ويدون ما يسمعه منهم.

دخل عيسى قسم اللاسلكي بالجيش وتقاعد عام 1961م وعمل بعدها في تجارة الأراضي والسيارات.

وفي عام 1975م، شارك في تأسيس جميعة بيت ساحور التعاونية في الأردن مع زملائه السادة جورج بنوره والمحامي جواد يونس والمحامي عصام الساحوري ونقولا جورج اسحق،

وسهيل الساحوري، وثيودور الشوملي، وانتخب اسحق أول رئيس لها ونشط الجميع في جمع التبرعات لبناء بمنى دائم للجمعية والتي تضم حوالي 450 مشترك ومشتركة من آالي بيت ساحور والبالغ عددهم 300 عائلة أو ما يزيد.

وفي 1977 انتخب عيسى اسحق مختاراً لأهالي بيت ساحور في الأردن، وتم تشكيل لجنة عشائرية برئاسته وانتخب كل من عائلة رجل يمثلها للقيام بالعطوات والفصل بين الأهالي في حالة حدوث خلاف.

أما رحلاته إلى بيت ساحور فكثيرة، وفي كل مناسبة يكون بينهم حتى أنه زوج بناته وأبنائه منهم.

ثامنا العادات والتقاليد في بيت ساحور

في الافراح

1. طلبة العروس في أقل عدد من ذوي العروسين.
2. اختصار الضيافة على كاس مشروب وحبة شوكولاته في بيت العروس، وعلى والد العروس تحديد مكان الخطبة.
3. مشتريات العروس في الخطبة حسب اتفاق أهل العروسين وعدم البذخ.
4. تلغى جميع معايدات العروس أثناء فترة الخطوبة.
5. كسوة العروس (1500) دينار كحد أعلى.
6. الرضوة زيارة ودية لأهل العروس لطلب الاذن في بدء العرس.
7. الصبحة من مسؤولية أهل العريس ويومها تكون سهرة العرس ويفضل تقديم نقوط نقداً داخل ظروف مغلقة، وفي حالة إقامة سهرة العرس مساء السبت تختصر الصبحة على أهل العروسين في بيت العريس وتلغى تقديم الأثاث كهدية من قبل أهل العروس في يوم الصبحة.
8. تقتصر الفاردة على أهل العروسين فقط.
9. الغاء حمل الهدايا بالمناسبات التالية:

النجاح بالتهوجيهي، الولادة، العماميد، زيارات المرضى.

من التراث الشعبي

أغاني العرس الفلسطيني في بيت ساحور

هذه الأغاني للعرس تشمل مراحلة المختلفة من الخطبة حتى الصبحة.

أولا : الخطبية والرضوة

يا ضيـــاء شـــمس الضـــحى — طلب عـــروس ومـــا اســـتـــحى

ياضـــيـــاء شـــمس الضـــحى — طـلـب عـــــروس وبـالـدبـوس

يـا هـالـدار طـوبـة عـلـى طـوبـة — عـــمـــرها ضـيـاء بالخطوبة

ياهالدار جـــالس على جـــالس — عـــمـــرها ضـيـاء بالعـرايس

مـبـارك مـبـارك بالسـبع بركـات — كـما بارك محمدع جبل عرفات

مـبـارك مـبـارك بالسـبع بركـات — كما رباك المسيح على الخمس خبزات

خـطـب وتجـــوز من حـــالـه — عـقـبـال ضـيـاء عـقـبـاله

يُخطب وتعمر دياره

خـطـب وتجـــــوز مـن يـده — عـقـبـال مـجـدي على حـده

ثانيا : بداية العرس

افـــتـــحـــوا باب الدار — خـلـوا المـهـنـي يـهـنـي

وأنـا طـلـبـت مـن الـلـه — مـــاخـــيـب الله ظني

جـــد الفـــرح لينا يا مين يهنيـــا — والفـرح عـادتنا وعـادة أهالينا

ياموت خلينا نفرح بأهالينا

تعـــــالوا هنـوني يا كل أهلي تجـوزوا وأجـوني سند ظهـري
تعـــــالوا هنوني ياالقـــرايب تجـوزوا واجـوني هالحـبـابيب

إنشاء الله بيظلولي هالحبايب

هنوني وأنا الا اليـــوم عـــيـــدي عـابر عليّ اليـوم فـرح جـديدي

ثالثا : أغاني جبلة الحنة في بيت العريس

دار العـــريس وســـيـــعـــة والفـــرح عـــابر فـــيـــهـــا
وام العـــريس فـــرحـــانه واحنا جـــيـنا نهنيـــهـــا

تســـتـــاهـلي يا دارنا حـنـة واحـنـي إيـدي
ياالـلي لميت شـــمـلـنا والخي مـالعلة الخـيـه
يا تمر حنة ياخـصـاب القـمح بتـقـول إمـه يا قلبي فـرح
ضـيـاء عـريس وكن لقطنا الخـبـر بتـقـول إمـه يا قلبي انجـبـر

يـعـلـم الـلـه الـيـــوم حـنـانـا ثلث ترطال اللي جـبـلناها
للحـبـايب اللي عـزمناها للحـبـايب اللي عـزمناها

رابعا : أغاني مسيرة الحنة إلى بيت العروس

ياما مـشـينا من الصبح للعـصـر ياما لاقـينا طيـبـات الأصل
ياما طلبنا مـهـا من بيـتـهـا يابيـهـا يسوى مدينة مـصـر
رحـبـونا رحـبـونا نسـايب لا تـزعـلـونا
واحـنـا نـاسـبـنـا ثـلاثـه وانتـوا الرابع شـرفـتنا
مـيـلي يامـهـا مـيـلي مـيـلي على الجنبـيـه

لـن خـرفك قـولـيـلـه بنت الدلال والغـيـه
مـيـلي يا مـهـا مـيـلي مـيـلي على الطراحـه
لـن خـرفك قـولـيـلـه بنت الدلال والراحـه
تسـتـاهلي يا بنت الحسب والنسب تسـتـاهلي علبة مـلانه ذهب
يسـتـاهل أبوك بوسـة اللحـيـة ومن فـوقـهـا مـيـة ذهب

خامسا : الترويدة لوداع العروس

قـعـدنا تنودعـهـا، خـيـتي يا مـهـا، قـعـدنا تنودعـهـا
واحنا نـودع، وهي تسـتـبل مـدامـعـهـا
ولا تبكي تبكيني، خـيـتي يا مـهـا
دمـعك عـزيز، على خـدك حـرقـتـيني

وامـبـارحـه يا رويده كـانـت أنا وانت
وشـو السـبب يا رويدة تا تجـوزت
وامبارحه يا رويده كنت عند أمك وشو السبب يا رويدة أخذت ابن عمك

سادسا : مقتطفات من أغاني سهرة العرس

يا ام العـريس مـبـارك مـا عـملتـيله جـوخـة جـديدة وبنت كـرام أخـذتيله
مـرشـوقـة بالعطر يا دار لفـراح مـرشـوقـة بالعطر والمسك فـواح
يا دار يا اللي تلملم شـملنا فـيك لن عـشـت يا دار بالحنا لحنيك
جـيـنا داركـو يا دار عـمـي سـمـعنا بفـرحكو جـينا نغني
جـيـنا نغني مـا اسـتـجـرينا خـفنا كـبـيـر كـو يزعل علينا
جـيـنا داركـو يا دار خـالي سـمـعنا يفـرحكو جـينا نلالي

يا شوفة شفتيها بين البساتين مجروح جرح الهوى يا مين يدواني

ويا حاملات القرب ميلن واسقيني عسى يطيب الجرح من شربة الميه

ياشوفة شفتيها بتقولي صابوني كن مروا عني العدا بالعين صابوني

ولو شقفوني شقف ولواح صابوني ما حيد عن عشرتك روحي ياعيني

سابع : أغاني الفاردة أمام بيت العروس

قومي اطلعي يا مها موشحة بسلاح

طولك جريد النخل يا ام العيون الملاح

واهلك عزوة قوية نقالة السلاح

والطول طول النخل والعنق ما ييل ميل والخصر من رقته هد القوى والحيل

يا نايمين الضحى وتنبهوا في الليل ضياء صاد الغزاله اللي عليها العين

ثامنا : أغاني المباركة والصبحة

مبروكه يا ضياء عروستك زينه ومحوطه بالله مكحولة العين

مبروكة يا ضياء عروستك منا ومحوطه بالله مرشوقة بالحنه

حوطتك بالله يا عريس جديد ياريت عمرك كل عام يزيد

حوطتك بالله يا سند بيك وخوتك يا زينة العرسان في ليالي العيد

ومباركة يا عروس عالعم والعمه وتبكري بالصبي وتكثر الأمة

ومباركة يا عروس علينا علينا وتبكري بالصبي يلعب حوالينا[1]

(1) من التراث الشعبي في بيت ساحور، اصدار متحف التراث الشعبي، بيت ساحور 3م. تجميع واعداد جمال بنوره.

*** في المآتم**

تلغي تقديم السجائر، و تقديم الطعام بعد الدفن يترك للاتفاق بين العائلة، يلغى الطعام في الثالث والسابع والأربعين، ويستعاض عنه بكاس حليب وكعك، الغاء الزيارة لبيت الفقيد في ذكرى السنة ونصف السنة، الغاء التقبيل بعد الدفن، الحداد مدة 31 يوما داخل فرع العائلة وخارج العائلة في الحامولة تنتهي عند اغلاق المأتم، زيارة الحامولة في الاعياد تنتهي بعد 21 يوما من اغلاق المآتم، لا يفتح مآتم خارج بيت ساحور وإذا فتح فلا حاجة للملامة بعدم الزيارة[1].

*** حكم وأمثال شعبية في بيت ساحور**

1. إذا أكل الغني الحية قالوا حكمة، وإن أكلها الفقير قالوا من جهله وجوعه.
2. أخذوا الصالح بعروى الطالح.
3. إذا طلع صيتك حط راسك ونام.
4. إلبس على ذوق الناس وكل على مزاجك.
5. إذل الناس من اعتذر إلى لئيم.
6. إذا وقعت يا فصيح لا تصيح.
7. ارموا أولادكم عن الحيطان وقول هذا من قضاء الرحمن.
8. اضرب النسا بالنسا والحمير بالعصا.
9. أصلع وحامل مشط.
10. أعزب دهر ولا أرمل شهر.
11. أطلب الشر لجارك بتلاقيه بدارك.
12. أعوذ بالله من جوعان إذا شبع ومن محكوم إذا حكم.
13. أكل الرجال على قد افعالها.
14. الحق العيار على باب الدار.
15. ألف عدو خارج البيت ولا عدوا داخله.
16. الف دعوه ما شقت قميص والف زغرودها ما جوزت عريس.
17. اللي بحضر ميلاد عنزته بجيب توم.

(1) من مذكرات مختار بيت ساحور (عيسى الساحوري).

18. اللي بتزرعه بتقلعه إلا بني آدم بتزرعه بقلعك.

19. اللي بحط فلوسه بنت السلطان عروسه.

20. اللي بتطلع لفوق بتنكسر رقبته.

21. اللي بده يستريح بقول كلام مليح.

22. اللي بخرج من داره بقل مقداره.

23. اللي بطبل لك زمرله.

24. اللي بقول لمرته عوره كل الناس بتلعب فيها الكوره.

25. اللي بفتح جرابه كل الناس بتعبي فيه.

26. اللي بهين ماله بكرم حاله.

27. اللي في باله ما يحرم حاله

28. اللي ما عنده بخت لا يتعب ولا يشقى.

29. اللي عنده بخت بقعد على تخت.

30. اللي ما إلو صهر ما إلو ظهر.

31. اللي قبع قبع واللي ربع ربع.

32. اللي ما يفهم بالاشارة الكلام معه خسارة.

33. اللي ما يرويه كفه بموت عطشان.

34. إن راح الجمل فلا أسف على الرسن.

35. إن طلعت لحية ابنك احلق لحيتك.

36. إن كنت على بير اصرف بتقدير.

37. أن كان عيبه من ثمه شواربه بتلمه.

38. بارك الله بالدار الوسيعة والمرأة المطيعة والفرس السريعة.

39. بين حانا ومانا ضاعت لحانا.

40. بنت الرجال لا تستحي من الرجال.

41. بين عذرك ولا تبين بخلك.

42. الحرامي بخاف على بيته والزاني بخاف على مرته.

43. خذ المجنونة بنت العاقلة ولا تأخذ العاقلة بنت المجنونة/ البنت تطلع لأمها.

44. دلل ابنك برمياك ودلل بنتك بتخزيك.

45. دور لبنتك قبل ما تدور لابنك.

46. رجعت حليمة لعادتها القديمة.

47. الرجال محاضر مش مناظر.

48. ركبنا عالحصان مد إيده عالخرج.

49. العروس في مجلاها ما بتعرف مين بتولاها.

50. الفرس بخيالها والمرأة برجالها.

51. احترم أبوك ولو كان صعلوك.

❖ متحف التراث الشعبي في بيت ساحور

تم افتتاح متحف التراث الشعبي في بيت ساحور في الرابع من تموز1991، بحضور جمع غفير من أهالي المدينة والمنطقة ورؤساء البلديات و المؤسسات الوطنية المختلفة، وقد قام بافتتاحه السيد حنا الخوري الاطرش رئيس بلدية بيت ساحور، وذلك بعد جهد كبير من لجنة متحف التراث الشعبي المنبثقة عن اللجنة العامة للتنسيق بين المؤسسات في بيت ساحور، في سبيل تجهيز المتحف بكل ما يلزمه من مأثورات قام بالتبرع بها عدد غير قليل من أهالي بيت ساحور والمنطقة.

ووضعت لجنة المتحف نصب أعينها منذ البداية العمل على تطوير المتحف باستمرار وتأسيس الفرق الفنية للتراث الشعبي، وجمع وتوثيق هذا التراث وتسجيله على اشرطة ومن ثم طباعته في اكثر من كتاب[1].

(1) لجنة متحف التراث الشعبي، بيت ساحور، 1993م.

الفصل الثاني

أعمال القمع التي تعرضت لها بيت ساحور

أولا: شمولية الانتفاضة في الأراضي المحتلة

في الثامن من كانوا الثاني عام 1987م، انطلقت الانتفاضة الشعبية من غزة هاشم ثم امتدت إلى باقي الأراضي المحتلة وسط موجة من الدعم والتأييد الشعبي والرسمي عربيا ودوليا، ووسط رصد إعلامي عالمي، وطبيعي فإن ذلك ليس بغريب إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن انتفاضة شعبنا العربي الفلسطيني لم تأت صدفة إنما هي امتداد نوعي للثورات الفلسطينية المسلحة، وأسلوب نضالي حضاري عصري يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات والمستجدات على صعيد الثورة الفلسطينية والأراضي المحتلة والكيان الصهيوني والساحتين العربية والدولية.

والانتفاضة لم تندلع من فراغ ثوري وسياسي، ولم تكن حالة عفوية على الرغم عند انطلاقتها الأولى قد فاجأت العالم والمراقبين والمحللين والمختصين في شؤون الأراضي المحتلة وفي الصراع العربي الإسرائيلي، حتى أن العديد من هؤلاء عدوها حالة عرضية ووقتية قد لا تدوم سوى بضعة أيام أوبضعة أسابيع، على الرغم من أن بيانات الانتفاضة الأولى كانت تشير إلى أهدافها الاستراتيجية وأسسها التراثية الوطنية الثورية التي هي امتداد للصراع العربي الإسرائيلي منذ بدايته الأولى إلى أن تجلت صورته، وما هي سوى حالة نوعية لهذا الصراع.

وقد أخذ المراقبون والمتخصصون يعيدون النظر في حساباتهم ورحوا يبنون ويضعون دراساتهم وتحليلاتهم لهذه الحالة الثورية الجديدة منطلقين من الحالة ذاتها، أي من البنية الشاملة للانتفاضة، ولم يقفوا أبداً أمام تصريحات قادة الكيان اليهودي التي تؤكد على أن جيش الاحتلال الإسرائيلي سيحتوي هذا العمل الثوري وسيصفيه باستخدام مختلف الأساليب القمعية الهائلة التي بحوزته انطلاقا من القوة العسكرية الإسرائيلية المدججة بأحدث أسلحة الارهاب والقمع في القرن العشرين، هذا ناهيك عن الغرور المتعجرف الذي تمتاز به قادة الكيان الإسرائيلي، ومن الأساليب القمعية التي استخدمها الكيان اليهودي.

الانتهاكات الإسرائيلية للأوضاع الصحية في الأراضي المحتلة

منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام 1967م، حالت سلطات الاحتلال دون أي نمو أو تطوير للواقع الصحي في تلك المناطق، بل عملت كل ما من شأنه الاستمرار في تدهور هذه الأوضاع بما يتلاءم مع سياسات الاحتلال الرامية لإبقاء الشعب الفلسطيني في حالة من الجهل والفقر والمرض والتخلف، فلم تعمل على بناء أو تطوير أي مستشفى أو عيادة جديدة طوال فترة الإحتلال، ليس هذا فحسب بل قامت بعرقلة تطوير ما هو قائم، كما حولت عدداً من المستشفيات والمراكز الطبية إلى مقرات للحكم العسكري والإرادة العسكرية الإسرائيلية.

ومع انطلاقة الانتفاضة الشعبية الفلسطينية كشف سلطات الاحتلال عن ممارساتها القمعية وأقدمت في سياق اعتمادها علي سياسة العقاب الجماعي التي ترافقت مع سياسة القبضة الحديدية وتكسير العظام وفرض الحصار العسكري والصحي والطبي والغذائي ضد الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة كافة، إضافة إلى قطع إمدادات الماء والكهرباء، وحالت دون دخول المساعدات الغذائية والطبية إلى المناطق المحاصرة، واعتدوا على الأطباء والممرضين وصادروا سيارات الإسعاف أثناء محاولات تأدية واجبهم الإنساني.

واستمرت السياسة الإسرائيلية في منع معالجة المصابين وإبقائهم عرضة لتفاقم الإصابات كي تتحول إلى عاهات دائمة، كما أوضح ذلك علنا اسحق رابين «وزير الدفاع السابق» الذي عبر عن رغبته في كف أيدي الفلسطينيين عن إلقاء الحجارة، ومع تفاقم الحصار الطبي وتراكم النفايات وقطع إمدادات الماء والوقود منعت سلطات الاحتلال عمال النظافة التابعين «للأونروا» من إزالة أكوام القمامة وبخاصة في المناطق الآهلة بالسكان، الأمر الذي هدد بانتشار مختلف الأمراض وحدوث كوارث وبائية[1].

إن المعطيات والوقائع التي أفرزتها الانتفاضة تفند المزاعم الإسرائيلية عن تحسن الأوضاع الصحية في المناطق المحتلة، وحالة مستشفى الشفاء في غزة خير دليل على ذلك، الذي انتشرت العفونة والجراثيم الفطرية على جدرانه، وبراميل القماقة مليئة وتفوح منها الروائح العفنة، وحاول السكان المحليون جمع الأموال لإجراء تصليحات ضرورية في المستشفى، لكن سلطات الاحتلال عرقلت ذلك زاعمة بأن النقود التي تجمع مصدرها من الخارج «المنظمات الفلسطينية»[2].

ويتحدث فريق طبي بريطاني زار الأراضي المحتلة في اذار 1989 عن معاناة الفلسطينيين في هذا المجال بالقول «كانت مجاري المياه القذرة في مخيم جباليا تصب كلها في بركة مركزية، وقد فاحت منها رائحة كريهة وتقول عضوة الوفد د. كوتنغ: «إن الوضع الصحي القائم يثير القلق ولا بد من الاشارة إلى أنه أثناء زيارتي التي استمرت ثلاثة أسابيع لم أشاهد من بين عشرات الضحايا اللذين سقطوا في صفوف الفلسطينيين سوى ضحية واحدة من صفوف اليهود، وقد قتلت الشابة اليهودية برصاص (إم-16) المستخدم من قبل الإسرائيليين[3].

(1) الرأي 1989/1/8.
(2) بلسم، عدد 178، نيسان 1990، ص 58-59.
(3) بلسم، عدد 178، نيسان 1990، ص 57.

ومن أساليب القمع التي تعرض لها الشعب الفلسطيني من الاحتلال الإسرائيلي ما يلي:

أ) جرائم ضد الأطفال في الأراضي المحتلة

يُعاني الأطفال الفلسطينيون بصورة خاصة معاناة بالغة؛ بسبب قوات الاحتلال الإسرائيلي الذي يحاولون قمع الانتفاضة بشتى السبل ويمارس الجنود الإسرائيليون أبشع الأساليب تجاه الأطفال الصغار حيث يتعرضون لعمليات التعذيب النفسي والجسدي والضرب المبرح والسجن دون أن يجدوا أية فرصة للدفع عن أنفسهم، كما أن القوانين الإسرائيلية في مجالات القمع تشملهم تماما كما هو الحال بالنسبة للكبار.

وقد أصدرت مؤسسة الحق العاملة في الأراضي الفلسطينية بيانا بمناسبة يوم الطفل العالمي في حزيران 1989 م، أعلنت فيه: «إن حوالي (110) طفل دون سن السادسة عشرة قد استشهدوا خلال الانتفاضة، ستون منهم بالرصاص، وثلاثون اختناقا بالغاز السام، وعشرة بالضرب حتى الموت، وأن (25) الف طفل جرحوا بالرصاص والهراوات، وأن (220) الف طفل دون سن السادسة عشر محرومون من التعليم، وجاء في البيان أن الأطفال الفلسطينيين يتعرضون لإجراءات قضائية وتنكيلية مباشرة وغير مباشرة تترك تأثيرا خطيرا على نموهم الجسدي والعقلي والنفسي والاجتماعي... إلخ». وناشدت المهتمين بشؤن الطفل من حكومات ومنظمات وأفراد العمل على وقف انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق الطفل الفلسطيني لتمكينه من التمتع بمزايا الأمن الاجتماعي وأن ينمو في صحة وعافية[1].

ب) حالات الاجهاض والعقم في الأراضي المحتلة

كشفت تقوات الاحتلال الإسرائيلي عن ممارساتها الإرهابية لقمع الانتفاضة ووسعت نطاق استخدام القنابل الغازية والكيماوية، مما تسبب في إجهاض مئات النساء الحوامل، وقتل الاجنة في بطون أمهاتهم، وإعاقة المئات منهن عن الانجاب، وقد نجمت الأغلبية الساحقة من هذه الحالات عن استنشاق الغاز المسيل للدموع من نوع (C. N/ C.S) أثناء فترة الحمل وكلاهما من النوع المهلك الذي يتسرب إلى داخل الجهاز التنفسي والخلايا الدموية والانسجة الدقيقة، وحسب رأي الأطباء فإنه لا يوجد حتى الآن مضادات مضمونة لهذه الغازات أو للوقاية منها[2].

وفي 11 شباط 1989م، عقد وفد من الأطباء الأمريكيين الذي زار الأرض المحتلة مؤتمرا صحفيا قال فيه: «إن وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين بدأت دراسة حول موضوع الاجهاض

(1) الرأي 1989/1/3.
(2) الرأي 1989/1/5.

بفعل قنابل الغاز، وإن هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها تشكل مسألة خطيرة، وقد أبلغتنا طبيبة في غزة بأنها عالجت سبع حالات من وفاة الاجنة خلال يوم واحد.

ومما لاشك فيه بأن الغاز المسيل للدموع من نوع (C.N/C.S) الذي يستخدم يمكن أن يكون قاتلا وبخاصة في حالة إطلاقه في غرفة صغيرة، وتقول الطبيبة البريطانية (كوتنغ) بتاريخ 3 نيسان 1989م، في قباطيا شمال الضفة الغربية «وبينما كنت أسير في الشارع سقطت قنبلة مسيلة للدموع على بعد سبعة أو ثمانية أمتار مني، وسرعان ما أصبت بنوبة سعال وبدأت الدموع تسيل من عيني ولم أعد أدري أين أنا إلى أن أسعفتني إحدى النسوة بإعطائي بصلة»، وأضافت قائلة: «إني دركت وقتئذ الآثار الناجمة عن استخدام هذه القنابل في الأماكن المغلقة»[1].

ج) استخدام الاسلحة المحرمة لقمع الانتفاضة

استخدمت السلطات الإسرائيلية في حربها ضد الانتفاضة وسائل مختلفة ومن بينها أنواع عديدة من الاسلحة المحرمة دوليا، مثل القنابل الغازية والكيماوية السامة وغازات الاعصاب والرصاص البلاستيكي، والرصاص ذو الذبذبات العالية الذي يؤدي إلى إحداث فجوات داخل الجسم قبل اختراقه للخارج، ويسبب ما يُسمى بـ «نشار الرصاص» نتيجة انتشاره وتفجره الواسع، وكذلك الرصاص المغير للاتجاه وهو من النوع الخطير الذي يؤدي قبل خروجه من الجسم إلى إحداث إصابات وتمزقات شديدة، ورصاص (الدمدم) المحرم دوليا الذي يتسم بسرعته الشديدة ويتفجر داخل الجسم ويؤدي إلى التهابات عديدة وقاتلة، وقد أكد استخدام هذا النوع من الرصاص الوفد البرلماني البرازيلي أثناء المؤتمر الصحفي في القدس يوم 1989/8/21 عندما قال عضو الوفد السيناتور (مارسيليو كوريا): «إن القوات الإسرائيلية تستخدم رصاصا من نوع دمدم المحرم دوليا وأنه شاهد بعض الحالات في مستشفى الشفاء بقطاع غزة»[2].

د) حالة السجون والأسرى في الأراضي المحتلة

استخدمت سلطات الاحتلال أسلوب جمع الأطفال والشباب من المدن والقرى والمخيمات المتهم وغير المتهم وزجهم في السجون لتعذيبهم وتقديمهم للمحاكمة الصورية من أجل تخفيف حدة الانتفاضة المباركة.

يحتجز المعتقلون في سجون بظل ظروف لا تستجيب للحد الأدنى من متطلبات احتجاز البشر، ولا توجد أي تقارير حول عدد المعتقلين الذين يحتجزون في هذه السجون، لأن الحديث

(1) بلسم، عدد 178، نيسان 1990، ص 60-61.
(2) بلسم، عدد 178، نيسان 1990، ص 61.

يدور عن سجون غير رسمية ولا توجد من الناحية العملية أية قواعد رسمية لإدارتها، ويحظر على المحامين الدخول لهذه المعتقلات المؤقتة، مما يلحق أضراراً بحقوق التمثيل القضائي للمعتقلين.

إن معاملة المعتقلين في السجون سيئة جداً، وقد اعتاد جنود الاحتلال على إدخال عملاء السلطات الإسرائيلية إلى المعتقل من أجل التعرف على مشبوهين ومطلوبين، توجد شهادات تثبت قيام العملاء بضرب المعتقلين[1]، وهناك شكاوى كثيرة حول العلاقات بين رجال المخابرات والذين يتم التحقيق معهم، وقضايا وفاة معتقلين أثناء التحقيق تشير مخاوف كثيرة حول استمرار اتباع رجال المخابرات أساليب لا تتوافق مع القرارات الدولية.

ومن أهم المعتقلات التي تشرف عليها سلطات الاحتلال:

1. سجن مجدو: يعد من أكبر المعتقلات العسكرية ويتواجد داخل منطقة إسرائيل، وقد أعد لاستيعاب 1800 معتقل.
2. سجن طولكرم: أعد لحجز المعتقلين فيه لحين استكمال الإجراءات القضائية ضدهم.
3. سجن الفارعة: يقع شمال مدينة نابلس، يحتجز فيه (450) معتقلا في المراحل الأولى لاعتقالهم، وقليل من المحكومين لفترات قصيرة، ولا يحتجز فيه معتقلون إداريون.
4. سجن الظاهرية: يحتجز فيه المعتقلون لفترات قصيرة، وظروفه قاسية جداً، غرفة صغيرة جداً، ولا يوجد فيها ماء، والتهوية ضعيفة.
5. سجن أنصار (3): أكبر معتقل في إسرائيل، وأعد لاستيعاب ثلاث الاف معتقل، لكنه وسع ليستوعب حوالي 4500 معتقل[2].

أبيات من الشعر إلى الأسرى والأسيرات الفلسطينيات[3]:

إن الأسير لرمز لانتفاضتنا ضد احتلال وضد البغي والظلم
فهو الذي قاوم المحتل منتصبا ما همه أسر يأتيه من تهم
إذ أنها تهم فيها الفخار له فيها الحياة لنا بالعز والكرم
أسرى فلسطين تيجان مرصعة على الجباه وفوق الأرض كالعلم

(1) فتح، صور وحكايات في ظل الانتفاضة، ج2، ص 32-35.
(2) فتح، صور وحكايات في ظل الانتفاضة، ج2، ص 63-65.
(3) مجلة بيت ساحور، تصدر في عمان، من شعر سامي غانم، ص 60-61.

يكفي تماسكهم في وجه مغتصب ... يكفي تحملهم من جور محتكم

خير النساء أسيرات تزينها ... فوق الرؤوس أكاليل من العظم

إذ أنهم سجنوا من أجلنا ولنا ... يبقى عذابهم عنا على عظم

فهذه تهم قد لفقت لهم ... إذ كلنا عندهم نحيا بذي تهم

وذا كفاح غدا حقا لنا ولهم ... وذي محاكمهم زور بلا قيم

وذي قضيتهم فيها في مفاوضة ... لن ننسها أبدا، نبقى على قسم

بل لن نساوم فيها في مفاوضة ... ولن يسامح من يسهو عن الدعم

فذا اتفاق جرى توقيعه فبذا ... قد صار تحريرهم فرضا وذا حكم

إذ لاسلام بلا تحريرهم وبلا ... فك القيود واطلاق لمتهم

إنا نعاهدهم أن نبذلن معا ... كل الجهود لتحرير من العجم

ندعو مفاوضنا في أن تكون لنا ... أولى القضايا قضايا الأسر في القمم

حتى نحررهم من ظلم محتكم ... حتى نخلصهم من قيد منتقم

هـ) سياسة العنف الجسماني في سجون الاحتلال

إن سلطات الاحتلال تطبق سياسة العنف الجسماني في سجون الانتفاضة، مما أودى بحياة العديد من مناضلينا الذين استشهدوا في زنزانات التحقيق نتيجة الضرب المبرح الذي تعرضوا له من رجالات الاستخبارات الصهيونية، وإصابة العديد من المناضلين باصابات مختلفة، تركت آثارها على جموع كبيرة من الأسرى الذين مازالوا يعانون من آلام حادة في جميع أنحاء أجسادهم، والتي تحولت إلى أعراض مزمنة يستحيل شفاؤها في ظل انعدام الرعاية الصحية التي تقتصر على حبة الأسبرين التي أصبحت في إدارة السجون الصهيونية دواء لكل داء[1].

وحتى الطاقم الطبي الذي يعالج السجناء يعاملهم معاملة وحشية لا إنسانية وصلت إلى حد بتر أحد أطرافهم، مع أنه كان بإمكان هذه الطواقم علاج جراحهم قبل عمليات البتر، فقد بترت

(1) فتح، صور وحكايات، ج2، ص 119.

أطرافهم عن قصد وعمد وإصرار وحشي، فحولوا ملائكة الرحمة إلى جلادين وعنصريين عريقين في الإجرام والقتل المتعمد مع سبق الاصرار والترصد.

وقد قام السجناء بمناشدة الهيئات الدولية والقوى المحبة للسلام التحرك الفوري لوضع حد للسياسة التعسفية التي تمارسها السلطات الصهيونية ضد السجناء ودعوا إلى إيفاد لجنة دولية لتقصي الحقائق، وللوقوف عن كثب على حقيقة ما يدور في أورقه المعتقلات من سياسات إجرامية، وقالوا إننا إذ نحذر مديرية السجون من مغبة حتى التفكير في بقاء سياسة العزل أو تكريسها بأساليب جديدة أكثر وحشية، وإلا سنرد بكل قوة وعنف، فلنا من الأسلحة النضالية الفتاكة ما نستطيع بها انتزاع حقوقنا والدفاع عن أنفسنا دفاعا مستميتا لا يسطره إلا عمالقة هذا الزمن، فأبطال شعب منظمة التحرير الفلسطينية لن يكونوا إلا صناع الانتصار[1].

إن عمليات التنكيل بالشباب الفلسطينيين واعتقالهم لا تزال مستمرة بالرغم من كل ما يقال من جانب سلطات الاحتلال بأنها توقفت عن عمليات التنكيل وكسر العظام، فقامت سلطات الاحتلال في بداية عام 1991م، من إلقاء القبض على أكثر من (2500) مواطن من معظم مدن وقرى ومخيمات الأرض المحتلة في محاولة لإخماد الانتفاضة، وقامت في منتصف كانون الثاني من عام 1991 م، بفرض منع التجول على كل سكان الضفة والقطاع معلنة أن كل من يخالف ذلك يعرض نفسه للخطر، وقد طبق هذا القرار فعلا، حيث أطلقت سلطات الاحتلال النار على فتاة من إحدى مدن الضفة الغربية عندما أخرجت رأسها من شباك بيتها وسقطت شهيدة في 1991/1/22م، وأطلقت النار على الشاب سالم جلال مصلح من بيت ساحور وسقط شهيدا مدعية أن الشاب خرق حظر التجول وخرج إلى الشارع وشارك في رشق الحجارة على دوريات الجيش[2].

ولكن في كل يوم تشرق فيه الشمس معلنة يوم ميلاد جديد من حياة شعب يقاتل في سبيل الحرية تصبح الشوارع مليئة بالمتاريس وألسنة اللهب المنبعثة من الإطارات المشتعلة، وعشرات الأطفال والشباب متمركزون في أزقتهم داخل القرى والمدن تنتظر مرور سيارات العدو للهجوم عليها وضربها بالحجارة والقناني الفارغة، والسيارات المدرعة المحملة بالجنود المسلحين بمختلف الأسلحة لم تعد قادرة على اقتحام صمودهم بحجارتهم وهم يقاتلون بكبرياء وشموخ جنود الاحتلال الذي امتاز بفاشيته وعنصريته وعجرفته وهو يحمل أقوى وأحدث أسلحة الفتك والدمار، ويسقط الشهيد تلو الشهيد، والجريح تلو الجريح والجماهير تتكدس خلف المتاريس وكأنه العهد والقسم على مواصلة الدرب.

(1) فتح، صور وحكايات، ج2، ص 119.
(2) الرأي 1991/1/22، الإذاعة الأردنية 1991/2/19.

ثانيا: إجراءات تعسفية قبل حملة الضرائب في بيت ساحور

تُصر إسرائيل في تعاملها مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة على تجاهلها لحقوق الإنسان وتجاوز المواثيق والمعاهدات الدولية وضربها عرض الحائط، فلا تتورع عن القيام بعمليات قمع وحشية من قتل وتعذيب واعتقالات وحصار وتجويع[1].

وما جرى في بلدة بيت ساحور في الضفة الغربية يشكل وثيقة دافعة تدين سلطات الاحتلال بما تقوم به من أعمال قمع وتنكيل والاعتداء على سيارات المواطنين لمدد مختلفة، وفرض غرامات مالية متفاوتة، فباسم قانون الضرائب وباسم الضرائب يشن جيش الاحتلال حملات إرهابية على بيت ساحور وبيت جالا وسائر المدن والقرى الفلسطينية في الضفة وغزة.

باسم الضرائب يدنسون المقدسات ويهتكون الحرمات، باسم الضرائب تصادر الممتلكات الخاصة والعامة، باسم القانون يعيث جيش الاحتلال تنكيلا وفساداً، فينهب البضائع ويسلب الأجهزة والأدوات من المنازل ويحرم الإنسان من أبسط حقوقه الإنسانية المشرعة، يرتكبون أفظع الجرائم، متوهمين أنه بإمكانهم كسر الانتفاضة، وما جرى في بلدة بيت ساحور يمثل مدى معاناة الفلسطينيين بشكل عام ومدى صمودهم في وجه الاحتلال.

ولبيت ساحور تاريخ وتجربة خاصة مع الاحتلال الإسرائيلي، ففيها تجسدت الانتفاضة بفعالياتها كافة، ومقاومتها لم تقتصر على ضرب الحجر وإقامة المتاريس والالتزام بالإضراب استجابة لنداءات القيادة الوطنية الموحدة بل للمبادرة في اتخاذ خطوات سابقة على مواقع أخرى.

يقول سمير «أحد أعضاء لجنة الحراسة» منذ أسابيع الأولى للانتفاضة تشكلت في البلدة لجان التعليم والحراسة والزراعة والتجارة والصناعة والقوات الضاربة وتوحدت فصائل الانتفاضة كافة ووضعت أعضاءها في خدمة البلدة وتجندت لمقاومة المحتل[2].

ففي نهاية آذار من عام 1988 وحسب اقتراح ورد في منشور من القيادة السرية للانتفاضة شكلت البلدة لجاناً شعبية للمساعدة في تنظيم الحياة اليومية، وقد تم ذلك علانية، وقال توفيق أبو عطية (أحد أعضاء اللجان الشعبية) في الأسبوع الماضي قبل إعادة فرض منع التجول لم يكن هنالك أية نية لعمل أي شيء غير قانوني، ولم تكن اللجان أكثر من امتداد لمنظمات التعاون ومساعدة الذات الموجودة في البلدة منذ فترة طويلة[3].

(1) الوطن العربي، عدد 137-663، الجمعة 1989/10/27م.
(2) الوطن العربي، عدد 36-663، الجمعة 1989/10/27م.
(3) القدس 1989/10/3.

قسمت البلدة إلى اثنتين وعشرين منطقة، في كل منها ما بين (30-70) أسرة واختارت كل أسرة في المنطقة ممثلا لاختيار عشرة منهم ليشكلوا لجنة منطقة مهمتهم تتمثل في الإبقاء على الاتصال مع جميع العائلات، وتقديم الغذاء للمحتاجين والعاطلين عن العمل أو الذين يعتمدون على شخص مسجون، بالإضافة إلى ذلك تم تشكيل ست لجان متخصصة، واحدة منها تهتم بالترتيبات الصحية وتقدم الأدوية المتوفرة للمحتاجين، وأخرى تهتم بالزراعة تزرع مساحة معينة من الأرض بالخضراوات لاستخدامها إذا توقفت الإمدادات، كما قامت بتخزين الدجاج والأرانب والمعدات الضرورية لمساعدة الناس على تحقيق الاكتفاء الذاتي، وقامت لجنة أخرى بتنظيم التعليم للصغار خلال إغلاق المدارس على يد السلطات، وتم تشكيل لجنة أخرى من قبل التجار الذين يحددون الأسعار وينظمون الإضرابات التجارية، وقامت لجنة أخرى بتنظيم مهمة الحراسة توفر الحماية من اللصوص، وكانت هذه اللجنة ضرورية بعد استقالة الشرطة العرب من القوى الإسرائيلية[1]، وتم تشكيل لجنة سادسة للمهندسين المؤهلين على تقديم المشورة حول الأشغال العامة، ولم تعمل هذه اللجنة أبدا، لكنها شكلت لإظهار قدرة الناس على الاهتمام بأنفسهم دون المساعدة الإسرائيلية.

بالإضافة إلى اللجان الشعبية نظم سكان بيت ساحور بهدوء إلى الانتفاضة برفض دفع أية ضرائب، وهنا يقول صاحب محل ملابس: «إن قذف الحجارة أمر رمزي فنحن لم يتبق لدينا أية أموال لندفع الضرائب، إننا بالنسبة للإسرائيليين مثل البقرة فهم لا يريدوننا إلا من أجل الحليب»[2].

ثالثا: الحصار العسكري والحملة الضرائبية في بيت ساحور

بت ساحور كغيرها من مدن وقرى ومخيمات فلسطين المحتلة تعرضت لإجراءات تعسفية عديدة من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي خلال الانتفاضة المباركة، ففي صباح يوم الخميس 7 تموز 1988 استفاقت البلدة على مكبرات الصوت الإسرائيلية معلنة إن على السكان تجميع سياراتهم أمام مبنى المدرسة، وقد شاهدوا موظفي الضريبة تساندهم قوات الاحتلال يتجولون في الشوارع مطالبين الناس بدفع الضرائب الباهظة التي امتنعوا عن دفعها تلبية لنداء القيادة الموحدة للانتفاضة، وبدأ رجال الضريبة وجنود الاحتلال يقتحمون المنازل والمتاجر ويصادرون السيارات والأجهزة الكهربائية، بينما تولى جنود آخرون اعتقال الرجال، وفي الوقت ذاته عقد المجلس البلدي اجتماعا لمناقشة الوضع، وفي التاسعة صباحا من ذلك اليوم جاء القرار بالاجماع من قبل

(1) القدس 1989/10/3.
(2) الدستور 1989/2/7.

سكان البلدة بتسليم الهويات، وجرت مفاوضات بين رئيس البلدية بالوكالة والحاكم العسكري الإسرائيلي لفك الحصار عن المدينة وإعادة الممتلكات المصادرة مقابل إيقاف تسليم الهويات.

وكانت استجابة سلطات الاحتلال جزئية بقصد المماطلة، ففي المساء تم نقل السيارات المصادرة والممتلكات الأخرى إلى مقر الحاكم العسكري، فاندفع المواطنون يسلمون هوياتهم، فهاجمت قوات الاحتلال مبنى البلدية مطلقة القنابل المسيلة للدموع والعيارات المطاطية على السكان فأصيب عدد منهم واعتقل عدد آخر بحجة أنهم أعضاء في اللجنة الشعبية التي نشطت في مجال توعية الأهالي وتنظيمهم لتنفيذ قرارات القيادة الموحدة، وكان لهذه الهجمة الاحتلالية رد سريع من بيت ساحور، فخرجت مظاهرة صاخبة امتدت إلى كل الشوارع، فحاول الاحتلال احتواء الموقف واستعان بالكمبيوتر ليحدد ما تتوجب عليه الضريبة، لكن الأهالي أصروا على عدم التنازل عن أموالهم للاحتلال الذي يجلدهم منذ (21) عاماً، وتواصلت عملية تسليم الهويات، واستمرت قوات الاحتلال في حملة الاعتقالات وفرضت نظام منع التجول على المدينة ذات الأغلبية المسيحية[1].

شنت قوات الاحتلال حملة اعتقالات واسعة في صفوف المواطنين خلال عملية مداهمة قامت بها قوة من جنود الاحتلال الذين تخفوا باللباس والكوفيات ودخلوا المدينة ليلا بسيارة تحمل لوحات من منطقة بيت لحم[2].

وذكرت القدس المقدسية إن المحكمة العسكرية في رم الله حكمت يوم 1989/11/7 على أربعة مواطنين من بيت ساحور بتهمة عدم دفع الضرائب وعدم تقديم كشوفات لضريبة القيمة المضافة لمدد مختلفة، و حكمت بالسجن لمدة ستة أشهر، منها ثلاثة أسابيع بالسجن الفعلي، والباقي مع وقف إذا لم يقوموا بتقديم كشوفات ضرائبية[3].

وفرض الجنود الإسرائيليون حصارا على بيت ساحور في 1989/9/20م، وتم قطع خطوط الهاتف عنها وأعلنت البلدة منطقة عسكرية مغلقة ولم يسمح لأحد بالدخول إليها على الإطلاق وشمل الحظر المتعاطفين الإسرائيليين والصحافيين والدبلوماسيين الغربيين، كما تم منع عدد من رجال الدين المسيحي الذين حاولوا إدخال ثلاث شاحنات محملة بالمواد الغذائية من دخول البلدة، وقد قرر رجال الأعمال وزعماء المدينة كجزء من الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الامتناع عن دفع الضرائب، فالضرائب بدون تمثيل ظلم في جميع الأحوال[4].

(1) القبس الكويتية، عدد 5836 ,1998/7/7م.
(2) القدس 1990/10/20.
(3) القدس المقدسية 1989/11/14.
(4) القبس، 1989/11/3.

واصل جنود الاحتلال ورجال الضريبة الإسرائيلية مداهماتهم ليلة 1989/9/27 لمحال ومنازل المواطنين في بيت ساحور، وصادروا محتوياتها بحجة عدم دفع الضرائب، ودفعت قوات الاحتلال صباح 1989/10/2 بتعزيزات مكثفة من جنودها إلى مدينتي بيت لحم وبيت ساحور، حيث انتشر عشرات الجنود في الشوارع، فيما رابطت عدة دوريات في محيط الكنائس في المدينتين، وذلك تحسبا من وقوع صدامات عقب صلاة وقداس الأحد، وفي اليوم نفسه واصلت قوات الاحتلال فرض حظر التجول على بيت ساحور لليوم الثالث على التوالي، فيما واصلت قطع الخطوط الهاتفية عنها[1].

أعلنت السلطات العسكرية صباح يوم 1989/10/4 بلدة بيت ساحور الباسلة منطقة عسكرية مغلقة بعد أن رفعت حظر التجول عنها الذي استمر أسبوعين متواصلين وصادرت خلاله ممتلكات لأهالي البلدة تقدر بالملايين.

وأغلقت السلطات العسكرية الإسرائيلية مساء 1989/10/3 مدينة القدس وأعلنتها منطقة عسكرية مغلقة، وذلك في محاولة منها لمنع عدد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية من عقد مؤتمر صحفي حول التصعيد الإجرامي الإسرائيلي الذي تعرضت له بيت ساحور، وبالرغم من كل الإجراءات فقد عقد فيصل الحسيني مؤتمراً صحفيا ارتجالياً في المنطقة، وأعلن إن شعبنا الفلسطيني مستمر في نضاله حتى إقامة الدولة الفلسطينية وانسحاب قوات الاحتلال عن أرضنا، وأكد مدير الفندق الذي كان مقرراً أن يعقد المؤتمر الصحفي فيه بأن الخطوة الإسرائيلية بإغلاق القدس العربية خطوة غير عادية، وتؤكد على عدم وحدة القدس، ونحن مسرورون ونتقبل مثل هذه القرارات برحابه صدر؛ لأنها دليل على أن القدس عاصمة فلسطين[2].

لا تزال قوات الاحتلال تفرض حصاراً عسكريا مشددا على مدن بيت ساحور وبيت لحم لليوم التاسع عشر على التوالي، كما قامت بقطع الاتصالات الهاتفية عن المدينتين وعزلهما عن بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة، وسلمت صباح 1989/10/12 عددا من المواطنين من بلدة بيت ساحور إشعاراً يفيد عزم الحكومة على بيع أملاكهم المنقولة والمحجوزة لدى السلطات والتي كانت قد صادرتها مؤخرا من البلدة إذا لم يدفعوا الضرائب المفروضة عليهم، وفي الوقت نفسه واصلت قوات الاحتلال إقامة الحواجز الجمركية على مدخل بيت ساحور وأعلنتها منطقة عسكرية مغلقة، فيما استمر الجنود في مداهماتهم لمنازل ومحال المواطنين ومصادرة محتوياتهم في محاولة لإجبارهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم.

(1) القبس، 1989/10/2.
(2) القدس المحتلة 1989/10/9.

تصر إسرائيل في تعاملها مع سكان بيت ساحور على تجاهلها لحقوق الإنسان تجاوز المواثيق والمعاهدات الدولية وضربها عرض الحائط فلا تتورع عن القيام بعمليات قمع وحشية من قتل وتعذيب واعتقالات وحصار وتجويع، فباسم الضرائب يشن جيش الاحتلال حملات إرهابية على المدينة، وباسم الضرائب يدنسون المقدسات ويهتكون الحرمات، وباسم الضرائب تصادر الممتلكات الخاصة والعامة وباسم القانون يعيث جيش الاحتلال تنكيلا وفساداً فينهب البضائع ويسلب الأجهزة والأدوات من المنازل، ويحرم الإنسان من أبسط حقوقه الإنسانية المشروعة، يرتكبون أفظع الجرائم، متوهمين أنه بإمكانهم كسر الانتفاضة.

وخشي سفاح الانتفاضة (اسحق رابين) أن تنتقل سبل نضال بيت ساحور إلى مناطق أخرى فصمم على كسرها وأعلن في 1989/10/14 في جلسة لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست قائلا: «سنلقن بيت ساحور درسا حتى ولو استغرق الأمر منا شهرا أو أكثر، سنحطمهم؛ لأنهم يريدون أن تتحول بيت ساحور إلى مثل وقدوة وسيتبعهم الآخرون إذا هم نجحوا في عدم دفع الضرائب»[1].

وجاء في منشور وزعته إسرائيل عندما شرعت في تنفيذ إحدى الغارات «الضرائب تدفع من قبل الأشخاص الفلسطينيين لبناء مؤسساتنا وبناء مستوطنات جديدة، لكن الخدمات التي نقدمها للفلسطينيين هي فتح السجون لهم»[2]، فكانت المصادرة ذات طابع همجي بحيث يرافقها ضرب المواطنين وأولادهم، ولم يتم أي إحصاء للممتلكات المنهوبة.

يقول مواطنون ساحوريون إن مراقبا عسكريا إسرائيليا برتبة عالية أشرف في الساعات الأولى لبداية الهجمة على عمليات مصادرة الأثاث والأجهزة من ثلاثة منازل فقط، ثم اختفى هذا المراقب بعد ذلك لتأخذ عمليات النهب والسلب والسرقة أشكالا مختلفة على أيدي الجنود الإسرائيليين يوما بعد يوم دون رقيب ودون إحصاء أو تدوين للبضائع والأدوات المصادرة، في وقت كانت فيه مداخل المدينة كلها مغلقة بأوامر عسكرية صارمة، وكان حظر التجول مفروضا في معظم الأحيان على كل أحيائها، وصودرت هويات (500) شخص، وفي الوقت ذاته توجه أكثر من (350) شخصا إلى المجلس البلدي وسلموا هوياتهم، وقد قالت جيهان شقيقة الدكتور جهاد عيسى: «إن الانتفاضة معلم جديد فقد اكتشفنا كيف نتعاون معا بشكل أكبر، إذا لم نتعاون فإننا لن نبقى على قيد الحياة»[3].

(1) الوطن العربي، عدد 137-663، الجمعة 1989/10/27م، الشعب، 1989/10/29.
(2) الأنباء 1989/10/22.
(3) القدس 1988/1/3.

لذلك فإن الناس سلموا هوياتهم لأنهم أرادوا أن يكونوا مع الذين صودرت هوياتهم، لقد أصدر الجنود أمراً للجمهور بأن يتفرقوا لكنهم بدل أن يتفرقوا جلسوا على الأرض، وهنا تقول جيهان: «لقد تعرضوا للضرب بالهراوات، بينما كانوا يجلسون على الأرض، ولم يستخدم الناس أي عنف لكن الجنود استخدموا الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي، إننا نعرف كيف نستجيب، ولأننا نتعاون فيما بيننا فإن الإسرائيليين خائفون، فالحركة هنا ناجمة من الناس، كما أن الأعمال يقوم بها الناس أنفسهم»[1].

لقد تم فرض منع التجول لمدة عشرة أيام، وخلالها تم اعتقال اثنى عشر شخصا واحتجزوا دون محاكمة لمدة ستة شهور، بمن فيهم الدكتور جهاد عيسى، وهنا تقول شقيقته: «إنه أمر مثير للضحك فالناس هنا كانوا غاضبين جدا من شقيقي لأنه ضد العنف، إنه يريد أن يقوم بكل شيء بصورة مشروعة، ومع هذا سجنه الإسرائيليون، يبدو أ الخبرة في ظل منع التجول قد أدت إلى صلابة تصميم الطبقة الوسطى على المقاومة». وهنا يقول صاحب محل الملابس: «نستطيع أن نحتمل منع التجول لمدة سنة إذا كانوا يريدون ذلك»[2].

أصدر قائد المنطقة الوسطى الإسرائيلي (إسحق مردخاي) أمرا عسكريا يقضي بوضع اليد على أرض تعود لمواطنين في حي أسطيح في بلدة بيت ساحور وتحيط بمعسكر قوات الجيش في الحي المذكور بهدف توسيع المعسكر وإقامة ساحة لوقوف السيارات وتعود هذه الأراضي لـ «جورج حنا، خليل رشماوي» وأشقائه، وهي مزروعة بأشجار الزيتون واللوزيات، وقد قامت جرافات الاحتلال بتسوية الأرض وتمهيدها، وقد احتج رئيس بلدية بيت ساحور بالوكالة على هذا الإجراء الذي يضر بمصالح المواطنين الحيوية ويغلق الطريق المؤدي إلى كنيسة حقل الرعاة[3].

وفي صباح 1989/10/21 م، داهمت قوة من جيش الاحتلال منزل المواطن راجي حنونه في بيت ساحور وأجروا فيه تفتيشا دقيقا واعتدوا خلال ذلك بالضرب على أولاده، كما داهم الجنود منزلي المواطنين عيسى يعقوب صالح وادمون أبو فرحة وأرغموهما على مسح الشعارات.

تواصل قوات الاحتلال حصارها العسكري على بيت ساحور منذ (35) يوما فيما استدعت عددا من مواطني المدينة إلى مقر الحاكم العسكري في محاولة لإجبارهم على دفع الضرائب، فيما واصلت قوات الاحتلال إغلاق البلدة وفرض حظر التجول الليلي عليها، فيما استمر الجنود

(1) القدس 1988/10/3.
(2) القدس 1989/10/3.
(3) شؤون سياسية 1989/11/13.

ورجال الضريبة مداهماتهم لمنازل ومحلات المواطنين ومصادرة محتوياتها لإجبارهم على دفع الضرائب.

ومنذ ساعات الفجر الأولى من صباح 1989/10/27م، انتشرت قوات كبيرة من جيش الاحتلال في بيت ساحور، حيث انتشر عشرات الجنود في الشوارع الرئيسة، وداهم الجنود المنازل وأجروا فيها تفتيشاً دقيقا، واعتدوا على قاطنيها بالضرب واعتقلوا خلال ذلك أربعة بحجة عدم دفعهم الضرائب وثلاثة آخرين بحجة مهاجمتهم لدوريات جنود الاحتلال[1].

وفي صباح يوم 1989/10/29م، دفعت قوات الاحتلال بتعزيزات مكثفة من جنودها إلى بيت ساحور، حيث انتشرت في الشوارع الرئيسة، وأقامت عدة نقاط عسكرية على أسطح المنازل العالية لمراقبة تحركات السكان، كما حاصرت الكنائس وعرقلت دخول بعض المصلين إليها، وفي اليوم نفسه منعت قوات الاحتلال المطران لطفي لحام مطران الروم الكاثوليك من الدخول إلى بيت ساحور لترؤس قداس ديني في كنيسة الروم الكاثوليك، وفي اليوم نفسه اعتقلت قوات الاحتلال عددا من مواطني بيت ساحور في محاولة لإجبارهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم[2]. واستمر فرض الحصار العسكري على مواطني بيت ساحور، حيث مازالت معابر البلدة مغلقة بالحواجز وأكوام الصخور والأتربة، كما ظلت خطوط الهاتف مفصولة عن العالم الخارجي.

وفي صباح يوم 1989/10/30م، علم أن عدد المنازل والمحلات التي داهمها موظفوا جباية الضرائب برفقة قوات الجيش الإسرائيلي قد بلغ نحو (25) منزلا ومحلا تجاريا، ووصف سكان بيت ساحور حملة موظفي الضرائب الأخيرة بأنها أوسع حملة تتعرض لها بيت ساحور منذ بداية الانتفاضة، وتعرض اليهود المرابطون في المنطقة العسكرية الواقعة على منزل المواطن عبدالغني زاهدة للرشق بالحجارة، وقد رد الجنود باطلاق العيارات النارية واعتقلت السلطات الإسرائيلية مواطنين من البلد، و ذلك بحجة عدم دفعهم ضرائب مزعومة فرضت عليهم.

ومن جهة ثانية وزعت قوات الاحتلال مساء 1989/10/29 بيانا باللغة العربية في البلدة هددت فيه ببيع الأملاك المصادرة من الأهالي خلال الأسبوع القادم مالم يبادر السكان إلى دفع الضرائب، كما هدد البيان مواصلة الحملة ضد الأهالي حتى يرضخوا لقرار السلطات بتسديد ما فرض عليهم من ضرائب، ومن بين الذين تمت مداهمة محلاتهم ومنازلهم باسم خير صاحب مشغل خشب زيتون وصودر له أثاث المنزل، مروان خير صاحب مشغل خشب زيتون وصودرت له أربع ماكنات صغيرة وماكنة كبيرة، عيسى الهواش صاحب مشغل خشب زيتون وصودر له

(1) القدس المحتلة 1989/10/27.
(2) القدس 1989/10/30.

أثاث وتلفزيون وفيديو، ناجي برهم وصودر له (14) ماكنة خياطة، واعتقل جريس عوض قميصه وصودرت له بضاعة خشب زيتون وصدف، ونقولا فطاس وصودرت له محتويات المشغل.

ونتيجة الأعمال التعسفية التي قامت بها قوات الاحتلال مازالت في بيت ساحور نحو ثلاثمائة مشغل صغير لصناعة الصوف وخشب الزيتون يتعايش منها ملا يقل عن خمسمائة مواطن، منهم من يسكن خارج بيت ساحور. كما أن هناك عشرات المحلات التجارية مغلقة تحسبا لمداهمته من قبل السلطات ومصادرة محتوياتها، ومنها متاجر تعمل في تسويق المواد الغذائية، وبسبب إغلاقها فإن معظم العائلات تجتاز الحواجز الترابية صباح كل يوم للتزود بالخضار والمواد التموينية، وحين عودتها يواجه هؤلاء مصاعب في إدخالها في بعض الأحيان، حيث عدد الدوريات الراجلة والمحمولة منتشرة في شوارع المدينة، ويلحق بأصاحب هذه المتاجر خسارة يومية والحالة هذه بالنسبة لعدد كبير من العمال الذين أعيد بعضهم عن نقاط التفتيش، ولم يتمكن بعضهم الآخر من العمل؛ بسبب فرض حظر التجول الليلي على البلدة المحاصرة.

أبيات في بيت ساحور - للشاعر هاشم سلامه[1]

لبيت ساحور كل المجد ينتسب ... وليس غير العلا يهدى لها لقب
ياقلعة لم ينل من صلبها أحد ... ومعقلا في حماة النار واللهب
كقبضة الكف لكن الكماة بها ... صدوا الغزاة على الاعقاب فانقلبوا
خمسون يوما وما زالت تحاصرهم ... جحافل الغزو تغزوها وتستلب
لكنها كعرين الليث ما تعبت ... وأهلها الصيد ما كلوا وما تعبوا
هذي البطولة قد أعطت لأمتنا ... مواعظ الدرس تستهدي بها العرب
يا بيت ساحور ما فلت كنانتها ... وما استكانت ولم تثلم لها قضب
صار الصليب سلاحا في كنائسها ... وراهب الدير لم تظفر به نوب
يا بيت ساحور يا رمز الصمود لقد ... أبليت في الصبر فلترفع لك النصب
فالانتفاضة في واديك باقية ... قولي لمن لخيل الغير قد ركبوا

(1) نشرت بالدستور يوم 1989/11/22.

إني رفعت بوجه الظلم أشرعتي ... نسيجها بجميع الدم مختضب

يا بيت ساحور فيك القول ملحمة ... تغنى البيان ويثرى عندها الأدب

ياجارة القدس يا من في كنائسها ... تتلى الصلاة وتتلى الآي والكتب

ياقائمون على الفيتو بلا سبب ... أنتم مصائب هذا الشعب والسبب

فكم وقفتم غلوظ القلب من سلف ... ضد الشعوب والتي للعلا تشب

فلتعلموا أيها الماضون في صلف ... ضد الحقوق التي تسبى وتغتصب

إن الشعوب له حق تطالبه ... وهي القرار لمن عن حقها حجبوا

إن الحجارة إذا قامت قيامتها ... يذوب دوى لظاها الفيتو وينشب

يا بيت ساحور ردي كيدهم بيد ... من الحجارة مكتوب لها الغلب

أنهت القوات الإسرائيلية يوم 1989/10/31م، هجمتها على بت ساحور والتي استمرت ستة اسابيع، فيما يعلن كل من الفلسطينيين وقوات الاحتلال عن انتصاره، وقامت جرافة عسكرية في ذلك اليوم بإزالة المتاريس الموجودة على مدخل المدينة منذ يوم (20) أيلول الماضي لعام 1989م.

حال رفع الحصار قام السكان بالتجمع في الساحة الرئيسية للاحتفال، ومن أجل مرافقة الصحافيين إلى بيوتهم لاطلاعهم على آثار العدوان على ممتلكاتهم، وأخذت مسيرة مكونة من النساء والأطفال يهتفون بلادي بلادي... وتدخلت الشرطة الإسرائيلية وطلبت منهم إنهاء المسيرة والعودة إلى بيوتهم.

وصرح الحاكم العسكري للضفة الغربية الجنرال (شاكي اريز) للصحافيين: «أنهينا حصارنا للمدينة اليوم بعدما عملنا على ما أردنا بل وأكثر من ذلك، فقد كانت لدينا قائمة بأسماء (330) مواطنا رفضوا دفع الضرائب، ونحن حصلنا على ضرائب من (400) مواطن، وأضاف إن قوات الاحتلال قامت باعتقال 40 تاجرا حيث حكمت المحكمة العسكرية على أربعة منهم بدفع ما قيمته 3 آلاف دولار لكل منهم أو السجن لمدة ستة أشهر»[1].

واصطف سكان بيت ساحور على جانبي الشوارع ليشاهدوا بقلق القوافل الإسرائيلية وهي تخرج من مخيم عساف، وأخذوا يتحدثون عن أعمال تفتيش وحشية، وعمليات سرقة صريحة مارسها جباة الضرائب، وعن حمالين يطالبون بالبقشيش لنقل الأشياء المصادرة.

(1) الأسبوع العربي 1989/11/13.

ووفقا لإحصاء محلي فإن قيمة الممتلكات المصادرة قد ارتفع إلى أكثر من خمسة ملايين دولار، خلافا لما أعلنته مصادر إسرائيلية عن قيمة الممتلكات التي حددت قيمتها بمليون دينار، وأظهر الإحصاء أن سلطة جباية الضرائب صادرت ممتلكات منقولة تشتمل على بضائع من الاخشاب والأدوات الكهربائية والمواد التموينية وأصداف ومواد بناء من (37) محلا تجاريا، كما صادرت السلطات آلات من (13) منجرة وماكنات للخياطة وحياكة الأصواف من (11) مخيطة ومشغلا للصوف، واشتملت المصادرات على أدوات كهربائية وأثاث وسيارات، واعتقلت أكثر من 70 مواطنا، وقدمت لوائح اتهام بحق (35) منهم، وحكم على أربعة بالسجن لمدة (180) يوما وغرامة مالية باهظة، ووضعت سلطات الاحتلال يدها على أرصدة (500) مواطن قدرت بـ (600 الف دولار).

وقال شايكي إيرز رئيس الإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية الذي تواجد في المدينة أثناء عملية رفع الحصار عنها: «إن وقف حملة جباية الضرائب لا يعني تغيير سياسة السلطات الإسرائيلية، وإن حملة مشابهة سوف تجري في أماكن أخرى من الضفة الغربية، كما تستمر في بيت ساحور نفسها حملات المداهمة للمنازل ومصادرة أملاك المواطنين رغم إعلان الاحتلال عن عزمها وقف الحملات[1].

وكانت صحيفة هآرتس الإسرائيلية ذكرت في عددها 1989/11/1م، إن وثائق وصلت إلى اعضاء الكنست السبعة الذين زاروا بيت ساحور قبل يوم واحد من فك الحصار عنها من قبل حركة السلام الآن تثير الشبهات الجدية في عدم وجود تناسق بين الممتلكات التي صودرت في بيت ساحور وبين التقارير التي سلمت مؤخراً للسكان بعد المصادرة، ونقلت هآرتس عن عضو الكنيست حاييم اوزون: «من حزب مبام اليساري» إنه حسب الشهادات التي استمع لها في بيت ساحور قد تمت مصادرة مائة وخمسين سيارة، وفي شهادة أحد المواطنين الساحوريين إنهم صادروا منه خمس سيارات ولكنهم سلموه فيما بعد وصلا بمصادرة ثلاث سيارات فقط، كما إنهم طالبوا مواطنا بمبلغ أربعمائة ألف دولار، في الوقت الذي كان فيه آخر مبلغ دفعه للسلطات هو أربعة الاف وخمسمائة دولار فقط[2].

على صعيد آخر صرح رئيس بلدية بيت ساحور (حنا الأطرش) إن قيمة الممتلكات المنقولة التي تمت مصادرتها من مواطني المدينة قد تجاوزت (8 مليون دولار) امريكي، وذلك خلافا لما اعلنته مصادر إسرائيلية سابقا وهو مبلغ (3 مليون دولار)، وكان الاطرش، قد صرح في بداية

(1) القدس 1989/3/8.

(2) الرأي العام 1989/11/2، العدد (9301).

حملة مصادرة الممتلكات من المدينة إن قيمة الممتلكات المصادرة في الاسبوع الأول بلغت (3 مليون دولار)، وقد تواصلت الحملة حتى نهاية شهر تشرين أول، أي بعد أربعة أسابيع أخرى من تلك المعلومات.

رابعاً- الأبطال الذين سقطوا دفاعا عن بيت ساحور

أ) **البطل**: سيمون جلال عيسى غانم المولود في بيت ساحور عام 1971م، الدين لله، والوطن للجميع. كلمات كان يعتز بها البطل سيمون ويرددها كغيره من أبناء فلسطين المسيحيين، يقدس الأض التي حملت خطوات السيد يسوع عليه السلام، ويكاد يسمعه يهتف به وهو يقذف بالحجارة «اضرب قتلة الأنبياء بطير الحق»، وكان سيمون يقول نقاتل أعداء بيت المقدس كما قاتل عيسى العوام إلى جانب صلاح الدين، كانت حجارة سيمون ترشق مستنقع الخطيئة في هيئة جنود العدو ويقاتل بلا هوادة، يرفع العلم الفلسطيني على كل الذرى ويحمل صورة القائد ويلوح بها، ويهتف مع الهاتفين الله أكبر، ويوم موته كان في أول يوم يرتفع فيه منع التجول الذي استمر مفروضا على بيت ساحور أحد عشر يوما، حيث كان سيمون واقفا في شارع النصر في المدينه قام أحد الجنود بإلقاء حجر كبير من فوق إحدى العمارات ليصيب رأس سيمون الذي قتل على الفور بتاريخ 1988/7/18 وعمره 17 عاما، ولف بالعلم الفلسطيني، وكان سيمون المعيل الوحيد لعائلته، وتقول جدة البطل لأمه: «إن ابنتها لم تتجاوز العقد الرابع من عمرها، ومنذ موت ابنها باتت وكأنها تجاوزت الستين»، فقد كان البطل البلسم الشافي لها بعد إصابة والده بالمرض، حيث ترك سيمون المدرسة وعمل خياطا ليساعد أسرته، كان على الأقل «ينقط في حلق العائلة»، أما شقيق البطل الأصغر (جود) فقد أصيب بحالة تشنج؛ لأنه شاهد كيفية مقتل شقيقه بطريقة مأساوية، ويقول الشاب (حنا) وهو صديق البطل: إنه كان مع سيمون وشقيقه في مساء اليوم التالي وما أن قطعا الشارع حتى سقط حجر كبير وزنه ما يقارب ستة كيلو غرامات، ويضيف حنا سمعت صوتا وشاهدت رأس سيمون وقد انفجر إلى نصفين فوقفت جامدا غير قادر على الكلام وسمعت صوتا ينادي إسعاف... إسعاف...[1].

ب) **البطل**: إياد بشارة نخلة أبو سعدة، من مواليد بيت ساحور عام 1969م، وكان إياد أحد شباب هذه المدينة الباسلة الذين كانوا يخرجون لمواجهة دوريات الاحتلال بالحجارة، ومقاطعة

(1) القبس، عدد 5836.

البضائع ويدعون الناس لزراعة حدائقهم بما يحتاجون إليه، ويوم مقتله كان إياد مع الشباب يقاتل جنود الاحتلال بالحجارة والزجاجات الفارغة، وانطلق رصاص القتلة فجرح أربعة من الشباب، وكان إياد أحدهم، غير أن إصابته كانت عميقة جداً، حيث دخلت الرصاصة في بطنه وخرجت من ظهره فقتل على الفور بتاريخ1988/10/30 ولفه الشباب بالعلم الفلسطيني وصلي عليه في الكنسية[1].

ج) البطل: عطاالله مصلح وعمره 56 عام، توفي بتاريخ 1988/12/10م، متأثرا من جلطة اصابته في دماغه عقب اعتداء جنود الاحتلال عليه قبل اسبوعين[2].

(1) الاتحاد 1988/11/1م.
(2) الاتحاد 1988/12/2م.

الفصل الثالث

دور المدينة في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي

أولا: النضال السياسي والشعبي قبل حملة جباية الضرائب

تصر إسرائيل في تعاملها مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة على تجاهلها لحقوق الإنسان وتجاوز المواثيق والمعاهدات الدولية وضربها عرض الحائط، فلا تتورع عن القيام بعمليات قمع وحشية من قتل وتعذيب واعتقالات وحصار وتجويع، وما جرى في بيت ساحور في الضفة الغربية يشكل وثيقة دافعة تدين سلطات الاحتلال بما تقوم به أعمال قمع وتنكيل.

وقد استطاع أهل فلسطين الصامدين بعامة وبيت ساحور بخاصة بوعي أهلها ووحدتهم الصمود بثبات أما وحشية المحتل وأعماله القمعية، واتخذوا أنماطاً نضالية خاصة بهم كان منها: إلقاء زجاجات حارقة على باصات الاحتلال، وقيام طلبة المدارس بالمظاهرات، ووضع حواجز من الحجارة على الطرق واحراق إطارات السيارات، وكتابة الشعارات الوطنية على الجدران المطالبة بالتضامن مع المعتقلين في السجون الذين أعلنوا الاضراب عن الطعام[1].

وقد أثرت الانتفاضة وبشكل كبير في سلوك الطفل، وفي ممارساته اليومية، وفي طريقة تفكيره وحياته اليومية التي يعيشها، حيث خلفت الانتفاضة من الطفل الفلسطيني طفلا آخر جعله يتمرد على كل الظواهر، فسياسة الضرب المبرح التي يتعرض لها الطفل وسياسة الاعتقال ومداهمة المنازل أثناء الليل كان سببا كبيرا لتنامي عنصر التمرد لدى الطفل الفلسطيني وعدم التزامه بالضوابط والثوابت التي يحددها له المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فتراه يخرج للشارع لمواجهة دورية عسكرية مزودة بأنواع الأسلحة كافة، فيلقي عليها زجاجة فارغة أو حجر، غير مبال بما يترتب عن ذلك من نتائج.

وكان تمرد الطفل الفلسطيني على قرارات الاحتلال وأوامره السبب المباشر في استمرارية النضال اليومي ضد الاحتلال. تحدث طفل (15) عاما من ضاحية شويكة وقال: «إنني أكره اليهود واقذف على الجيش الحجارة كلما شاهدتهم، لقد شاهدت جنديا وهو يلف ذراعه حول عنق طفل من بلدنا وضغط عليه بشدة وكان يقول لصديقه: «إن الأطفال العرب لا يتألمون لأن ليس لهم عظم في الرقبة إنهم ليسوا بشراً»، ولما شاهدت ذلك حاولت الخروج من البيت لأرشق الحجارة باتجاههم، لكني أبي منعني من الخروج فأخذت أبكي وأصيح «إن احتجاز الأبناء في المنزل يُعد عارا كبيرا علينا، إننا نخجل من جيراننا وأصدقائنا الذين فقدوا أحد أبنائهم، أو الذين لهم أحد المعتقلين في السجون الإسرائيلية، إن مواجهة الاحتلال واجب على الجميع، ومن لا يتصدى لهم فهو منبوذ عندنا.

---

(1) القدس 83/5/17, 84/3/18, 86/3/27، الفجر 95/12/24.

الطفل الفلسطيني يعيش حياة ثورية يومية، فهو يعرض نفسه للموت برصاص جندي إسرائيلي حين يكتب شعار على جدار أو يعلق علم فلسطيني على عمود كهرباء أو يواجه دورية بالحجارة، فهو أشبه بعفريت صغير يتنقل وسط الظلام.

كل هذا خلق منه طفلا تلاشت عنده حاسة الخوف، وامتلكته الجرأة والاقدام على المغامرة، وقد ورد على لسان الطفل أحمد (14 عاما) عندما سئل عن الوضع في الأراضي المحتلة قال: إن الجيش الإسرائيلي يقتحم قريتنا باستمرار، وفي كل مرة يقتحم البيوت ويعتدي على الشباب بالضرب، وفي بعض المرات يسوق الشباب معه فتلحقهم أمهاتهم وهن يصحن على الجنود اتركوا الأولاد، ولكن هذا لا يمنعنا من أداء واجبنا فنبقى مراقبين الشوراع من مسافات عالية، وعندما نرى دورية الجيش نبدأ بالتصفير ونجتمع لنضع المتاريس في الطرق، ونبدأ بضربهم بالحجارة ونحن نهتف «الله أكبر»، وإذا لا حقونا فإننا نختبئ في أي مكان قريب أو نهرب إلى الجبال البعيدة، و عندما يقوم الجيش بمسح الشعارات أو إنزال الأعلام نقوم بكتابة غيرها وأكثر مما كانت، ونعلق أعلاما جديدة، لقد تعودنا على مجابهتهم ولن نخاف منهم أبداً[1].

وقد ترك أطفال فلسطين اللعب التقليدية التي كانوا يتسلون بها في أوقات فراغهم وأخذوا في اختراع لعب جديدة تتناسب مع الوضع الراهن في فلسطين، يقول أحد الأطفال: «المدارس عندنا أغلب الأيام مغلقة، لذا يتجمع أطفال القرية أو الحارة ويلعبون لعبة (عرب ويهود) وينقسم الأطفال إلى قسمين الأول يمثل أطفال الحجارة لعرب، وقسم يمثل دور الجنود اليهود، حيث يبدأ الأطفال برشق الحجارة على الجنود اليهود، وبعضهم يكون ملثما ويستخدمون المقلاع ضد جنود اليهود فيطاردهم الجنود ويضربون من يلحقون به، وهذه ممارسات تقليدية لشباب الانتفاضة الأكبر سناً.

وقد استخدم أطفال وشباب فلسطين وسائل عديدة ضد سلطات الاحتلال كان منها المقلاع الذي يضرب به الحجارة إلى مسافات بعيدة، ودق المسامير في خشب ثم دفنها في وسط الشارع لإتلاف إطارات سيارات العدو، ووضع حواجز من الحجارة والبراميل والاسلاك الشائكة في الطرق الرئيسة، واستخدموا القناني الزجاجية الفارغة أو المليئة بالنفط ضد سيارات ومخافر وتجمعات إسرائيلية.

كان شباب الانتفاضة من الملثمين ومازالوا يمارسون دوراً كبيراً في الانتفاضة ومقاومة الاحتلال بشتى الأساليب المتوفرة لديهم، وقد ارتدى هؤلاء الأقنعة على وجوههم وتخفيهم

(1) القدس المحتلة، وفا 89/10/27، البيان1989/10/30م.

بملابس معينة لعدم كشف هويتهم من قبل العدو، ولكن صدرت تعليمات لجيش الاحتلال باطلاق الرصاص على كل مشتبه به أو مثلم أو على كل من يرفض التوقف أو الانصياع لأوامر الجيش، عندما يطلب منه.

إن اجراء اطلاق النار على الملثمين والمطلوبين مثله مثل تنفيذ حكم الاعدا بدون محاكمة، حيث استغل الجندي هذا الاجراء وأخذ يطلق النار عشوائيا دون تمييز، مما زاد عدد الشهداء في فلسطين، وقد صرح ضابط الجيش في نابلس إن اجراءات اطلاق النار ضد الملثمين قد أثمرت، مما أدى إلى انخفاض عدد الملثمين في الاسابيع الاخيرة.

واستخدم الجيش أساليب جديدة لقمع الانتفاضة، وهي تغيير الهدف المركزي من مواجهة الجماهير إلى محاربة نقاط معينة مثل المطلوبين والملثمين ونشيطي المنطقة والزعماء، لذلك استخدم الجيش وحدات صغيرة تتنكر بزي عربي محلي أو يستخدمون سيارات عربية، ويلاحقون شباب الانتفاضة.

ولكن هذه الأساليب فشلت أمام الانتفاضة عندما تم اكتشافها فوعي الشباب لخدع العدو وأصبحوا حذرين، فكان الملثمون في كل منطقة يقومون بمسيرات على شكل فرق عسكرية وهم يرتدون القناع والملابس الرسمية، حاملين أسلحتهم البسيطة كالبلطة والسيف والعصا والخنجر، هذا الشاب الملثم مستعد لمواجهة المخاطر، وهو على علم بأن لقاءه مع جندي قد يؤدي لنهايته، وكل ملثم يلبس ملابسه العادية تحت ملابسه العسكرية حتى يخلعها في حالة الطوارئ، وكل مسيرة للملثمين ترافقها ترتيبات أمنية وتحضيرات دقيقة كالحراسة ونقاط المراقبة، وتكون مسيرتهم على شكل جماعات في مقدمتهم شباب غير ملثمين، ومثل ذلك في نهايتهم، وعند القيام بعمليات في مناطق معينة ككتابة شعارات أو رفع اعلام أو غيرها يضعون عليهم حراسة ونقاط مراقبة خوفا من جيش الاحتلال.

وفي السنة الثالثة للانتفاضة زادت مسيرات الملثمين وعملياتهم ضد سلطات الاحتلال، بخاصة بعد تصفية الكثير من العملاء الذين يتعاملون مع جيش العدو بايصال المعلومات لهم عما يجري داخل المدن والقرى، وعلى هذا الأساس فالانتفاضة مستمرة والملثمون ينظمون المسيرات، يصاحبها التطبيل والتزمير ويحضر الجيش ويطاردهم، وهكذا تدور.

جيش الاحتلال لم يترك اسلوبا من الاساليب القمعية الا واستخدمه من اجل قمع الانتفاضة الشعبية في الاراضي المحتلة، بعد ان انجز وزير الدفاع السابق (اسحق رابين) وراء طلبات شارون وزمرته المتطرفة التي تناشد وتطالب بقمع الانتفاضة، فدعى إلى اطلاق النار على الملثمين لمجرد ارتدائهم اقنعة مدعية العقلية العسكرية والسياسية الإسرائيلية، بعد اصدارها لهذا القرار وقتلها

العديد من الشبان بأن تتلاشى الانتفاضة، ولكن المصادر العسكرية الإسرائيلية عادت وأكدت بأن القتل يؤدي إلى زيادة تفاقم الأوضاع وإلى استبسال الشبان الفلسطينيين.

ويدرك القياديون الإسرائيليون بان ظاهرة الملثمين ليست هي الانتفاضة، بل احدى وسائلها، وقد تبدلت هذه الأشكال بناء على التطورات في الساحة الميدانية، فمن هذه المظاهرات الجماهيرية الحاشدة التي يشارك بها الاف اللجان الشعبية والقوى الضاربة والملمثين، هذه الاشكال اتخذها مضمون نضال الشعب الفلسطيني لمواجهة الاحتلال القمعي الذي اصبح على قناعة تامة بان الاوضاع لن تعود إلى ما كانت عليه قبل اندلاع الانتفاضة حتى ولو تمكنت إسرائيل من فرض استتباب هدوء نسبي في الأراضي المحتلة.

ثانيا: المقاومة الوطنية والعصيان المدني على جباية الضرائب

منذ بدء الحملة العسكرية على بيت ساحور في التاسع عشر من ايلول - سبتمبر عام 1989م، وحتى نهاية تشرين الأول اكتوبر خاب أمل القيادات العسكرية، ومن ضمنها وزير الدفاع اسحق رابين في تلقي أية أنباء تبعث على الارتياح من المسؤول العسكري هناك حول نجاح مهمته، فقد اختار السكان طريق اللاعنف وسيلة لقرع الخزان الإسرائيلي، مؤكدين على أن الحل الحقيقي رغم التضحيات والمعاناة الطويلة هو الدفع في اتجاه السلام، وقالوا في البيان الذي وزع في بيت ساحور يوم رفع عنها الحصار: إن مواصلة اللاعنف لإيقاظ الإسرائيليين على التعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني لكسر الجمود في المسيرة السلمية وصولا إلى الحرية والاستقلال، وأضاف البيان إن العصيان المدني الذي خاضته البلدة لثلاثة وأربعين يوما متتالية يجسد المعاناة والحرمان وكبت الحريات والتجويع، وفضلا عن ذلك وفر التأييد العالمي للقضية الفلسطينية، وكشف الوجه الحقيقي للاحتلال الإسرائيلي الذي لجأ إلى التنكيل والتجويع والحصار والعزل والانتقام[1].

اكثر من خمسة ملايين دولار قيمة ما نهبته قوات الاحتلال الإسرائيلية من بيت ساحور، لكن البلدة لم تتراجع امام غطرسة الاحتلال وظلت المدينة الرمز في المقاومة السلمية في وجه عمليات البطش والنهب، وقد ذكر اسحق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي السابق انه سيلقن أهالي بيت ساحور درساً لن يسنوه، ولكن تحول هذا الدرس إلى ورطة إسرائيلية كاملة حين اضطرت السلطات العسكرية التي يقف على رأسها رابين نفسه صباح 31 تشرين الأول عام 1989 م، إلى

(1) الاسبوع العربي 89/11/13، شؤون سياسية89/11/13.

فك حصارها العسكري عن بيت ساحور ووقف هجمتها الضرائبية عنها بعد (43) يوما متواصلة من النهب والسلب والسرقة ومصادرة الممتلكات واهانة واذلال المواطنين واعتقال بعضهم[1].

كان رابين قد استعرض تهديداته القمعية امام (لجنة الخارجية والأمن) التابعة للكنيست «برلمان إسرائيل» ضد بيت ساحور البلدة الفلسطينية الصغيرة التي تشتهر بكنائسها وإلى جوارها مدينة بيت لحم مهد السيد المسيح، وعلى مسافة بضعة كيلو مترات من القدس الشريف الذي يضم الأقصى المبارك وكنيسة القيامة، والتي ترفض دفع الضرائب لسلطات الاحتلال تنفيذا لقرار القيادة الوطنية الموحدةللانتفاضة.

أعلن رابين بلهجة القلق والعجرفة: سنلقن أهالي بيت ساحور درسا حتى لو اضطررنا لفرض الحظر لمدة شهرين، لن ندع العصيان المدني ينجح، ولن تقوم، ولن تكون هناك محاولة لعدم دفع الضرائب، وهذا امتحان يجب اجتيازه بشكل حازم؛ لأنهم يريدون تحويل بيت ساحور إلى رمز، وقد تحولت بيت ساحور فعلا إلى رمز شامخ من رموز الإنتفاضة التي تقترب من عامها الثاني فازت بانتصار واضح مبين، فلم تدفع الضرائب ولم ترضخ للتهديد والقهر والإذلال، في الوقت الذي فاز فيه رابين بالممتلكات المصادرة والمنهوبة.

وقد صاحت زوجة سهيل حنونة بالجنود الإسرائيليين وهم ينهبون بيتها من أثاث وسجاد وستائر وأجهزة كهربائية ومواد تموينية «خذوا، انهبوا، اسرقوا. . . . بس روحوا عنا» بعد أن اعتقلوا زوجها واستولوا على سيارتين تابعتين للأسرة، ثم قالت الزوجة بعد انتهاء قوات الاحتلال من النهب والسلب: الآن أشعر بالفخر والكبرياء نحن لن ندفع الضرائب ولن ندفعها أبدا.

وقال أكرم نصري خوري: إن الجنود قد صادروا مني ما قيمته سبعة آلاف شيكل، وهو مبلغ يتجاوز عدة أضعاف ما تطالب به سلطات الضريبة، ولكنني صامد، أشعر أنني أديت واجبا عظيما برفض دفع الضريبة مثل غيري من مواطني بلدي.

وقال أكرم: من كان يفكر بالدفع أصلا لن يدفع الان أو في أي وقت، بعد أن شاهد بعينه بطش وإرهاب القوات الإسرائيلية.

وقال خضر (أحد مواطني بيت ساحور) الذي صادروا ممتلكاته جميعها بما قيمته مائة ألف شيكل (خمسون ألف دولار): «إن الممتلكات لا تهمني ونحن مستعدون للتضحية دائما للحفاظ

(1) تقرير منظمة التحرير بتاريخ 89/10/31.

على موقفنا الموحد»، ورغم أن خضر نفسه ليس له اسم في قوائم المطالبين بدفع الضرائب، إلا أن السلطات الإسرائيلية صادرت ممتلكاته بدلا عن أخيه الذي لم تعثر عليه.

وقال موسى صالح: «نعم انتصرنا وحافظنا على كرامتنا، هم صادروا أثاث منزلي وماكنات صناعة خشب الزيتون التي تعد مورد الرزق الوحيد لي ولعائلتي، لكننا لم ندفع الضرائب».

في كل منزل من منازل بيت ساحور يأخذ هذا النصر أبعاده الواقعية ضد ضريبة القوات الإسرائيلية التي فرضت حصارها على البلدة واندفعت بآلياتها وشاحناتها نحو شوارعها وأزقتها تقتحم البيوت والمصانع والمشاغل والمتاجر وتصادر وتنهب البضائع والاجهزة والماكنات والاثاث والسيارات والمواد التموينية، إضافة إلى تنفيذ قرار الجنرال «شايكي ايرز» رئيس ما يسمى بـ «الادارة المدينة» الإسرائيلي بحجز أموال الساحورين في بنك (القاهرة - عمان) وهو البنك العربي الوحيد الذي سمح له قبل سنتين للعمل في الأراضي المحتلة، والبنوك الإسرائيلية التي تقدر بستمائة الف دينار، رغم أن أيرز لم يعترف إلا بأحد عشر الف دينار فقط على مدار (43) يوما حتى مساء 31 تشرين أول (أكتوبر) من عام 1989م.

ثالثا: شمولية الانتفاضة والتعاون المشترك في بيت ساحور

لبيت ساحور تاريخ وتجربة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ففيها تجسدت الانتفاضة كافة، ومقاومتها لم تقتصر على ضرب الحجر وإقامة المتاريس والالتزام بالاضراب، بل تعدد ذلك إلى الاستجابة لنداءات القيادة الوطنية الموحدة، وللمبادرة في اتخاذ خطوات سابقة على مواقع أخرى.

يقول سمير (أحد أعضاء لجنة الحراس) منذ الاسابيع الأولى للانتفاضة تشكلت في المدنة لجان التعليم والحراسة والزراعة والتجارة والصناعة والقوات الضاربة، وتوحدت فصائل الانتفاضة كافة، ووضعت أعضاءها في خدمة المدينة وتجندت لمقاومة المحتل، وحظي نجاح الاقتصاد المنزلي بمعدلات أعلى من أي موقع فلسطيني آخر.

وفي جوار البيوت الجملية في بيت ساحور توزعت قطع الأراضي الصغيرة على مساحات خصصت لكل الخضروات التي تحتاجها الأسرة مثل الكوسا والخيار والملوخية والبندورة والبقدونس والنعناع والباذنجان... إلخ، كما أقيمت الحظائر الصغيرة للأغنام والأرانب وأقفاص الدجاج[1]. أما الماء فلا يثق الأهالي بأنابيبه التي قد توقفها سلطات الاحتلال متى شاءت فحفروا الآبار وجددوا القديمة منها لجمع مياه الأمطار.

(1) الدستور 89/2/7.

وعلق المواطن نعيم ريمون قائلا: «إن بإمكاننا الصمود شهوراً طويلة، صحيح أننا عانينا ونعاني من النهب الاحتلالي لكنها ضريبة ندفعها لتحقيق أهدافنا الوطنية في الاستقلال»[1].

وظهرت مبادرات متعددة من أهالى بيت ساحور كان أولها تحويل الصلوات إلى مسيرات جماهيرية تطوف الشوارع وتواجه جنود الاحتلال ويشارك فيها المسيحون والمسلمون من الرجال والنساء ورجال الدين المسلمون والمسيحيون، مثلما تحول المسجد إلى منطلق للتظاهرات والمسيرات تحولت للكنيسة في بيت ساحور إلى منطلق للتظاهرات بعد شهر واحد من انطلاق الانتفاضة، ثم بدأ العمل النضالي يتخذ شكلا منظما، حيث بدأت التيارات السياسية كافة في البلدة تتفق على مواعيد التظاهرات، بخاصة في ساعات المساء، بسبب تواجد أكبر عدد ممكن من الشبان إثر عودتهم من أعمالهم خارج البلدة، وكذلك فان التظاهرات الليلية كانت تربك جنود الاحتلال لعدم معرفتهم بطرقات البلدة، بحيث لا يجرؤن على إطلاق النار خشية اصابة بعضهم... ولكن الانتفاضة ليست مجرد تظاهرات، إنها أيضا امتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة أجهزة الإدارة المدنية، وبناء الاقتصاد المنزلي لتحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي وفك الارتباط بالاقتصاد الإسرائيلي[2].

والمواطن الساحور كغيره من أبناء فلسطين ادرك أن المعركة طويلة والانتفاضة متواصلة، وعليه الاعتماد على الذات دون انتظار دعم خارجي، فكانت الفكرة بناء الاقتصاد المنزلي، والعودة إلى الأراض التي سلمت من المصادرة الاحتلالية وزراعتها بالخضار والحبوب. والثابت أنه لا يمكننا القول إن تاريخ الشعب الفلسطيني بدأ بالانتفاضة، بل إن الانتفاضة بعمقها وشموليتها كشفت عن إمكانات هذا الشعب وعن تفتق الذهن عن مبادرات لم تكن في حسبان أحد.

ففي الثالث من شهر شباط (فبراير) عام 1988م، طرق عدد من الشبان منزل المواطن سعيد السالم في حي تل الزعتر في بيت ساحور، وحين أطل عليهم سلموه خمسين شتلة خضار لزرعها وأخبروه إنهم من اللجنة الزراعية الشعبية التي تشكلت في البلدة، إن توزيع الأشتال على المواطنين جزء من مهام هذه اللجنة بغرض استثمار كل بوصة من الأراض الفلسطينية.

فالقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة ارتأت الرد على الحصار الاقتصادي الإسرائيلي بالمواجهة الشعبية، والإفادة من الممكن[3].

(1) مجلة المجلة، العدد 512، تاريخ 1988/12/12م.
(2) الدستور 89/2/7.
(3) الدستور 89/2/7.

ولكن مساحة أرض بيت ساحور لا تكفي لإعالة جزء كبير من السكان، وموقعها غير مؤهل لتجارة ناجحة، فاتجه الأهالي إلى الصناعة، وفي جوار كل بيت مشغل صغير أو كبير، نذكر منها خياطة، بلاستيك، خشب زيتون، خرز، أساور، صدف قلائد، مخارط حديد، حقائب صغيرة، حتى أصبح اسم البلدة «يابان فلسطين»، فالرجال والنساء والأطفال كلهم يعملون، والبلدة ازدهرت لا بفعل التجارة كنابلس والخليل ولا بفعل السياحة كبيت لحم، وليس بفعل الهجرة كبيت جالا ورام الله، بل فقط بصمود واصرار أهلها على تحدي ومقاومة الاحتلال، فإذا دخلت البلدة أثناء الضريبة تجدها خارجة من غزوة اجنبية هاجمها قطاع الطرق فنهبوا بيوتها ومشاغلها، وبدت جرداء، وكان الهدف الاحتلالي يريد كسر الإرادة الفلسطينية بالتجويع والنهب، والنتيجة كانت خروج بيت ساحور عصية على الكسر وقوية على الهزيمة وأثمن من الخسارة المادية[1].

وفي نهاية اذار من عام 1988م، وحسب اقتراح ورد في منشور من القيادة السرية للانتفاضة شكلت البلدة لجانا شعبية للمساعدة في تنظيم الحياة اليومية، تتولى اللجان الشعبية فض الخلافات بين السكان وتقديم المساعدة لأية أسرة محتاجة وتنظيم الأعمال التطوعية لتنظيف البلدة، وتقوم بزيارة تضامنية لأسر الشهداء والجرحى في المستشفيات والمعتقلين والمبعدين[2]، وقد تم ذلك علانية، فقال توفيق أبو عطية: «لم يكن هنالك أي نية لعمل أي شيء غير قانوني، ولم تكن اللجان أكثر من امتداد لمنظمات التعاون ومساعدة الذات الموجودة في البلدة منذ فترة طويلة.

وقسمت البلدة إلى مناطق واختارت كل منطقة ممثلا لها ليقوم بتشكيل لجنة من سكان المنطقة مهمتهم تتمثل في الابقاء على الاتصال مع العائلات جميعها، وتقديم الغذاء للمحتاجين والعاطلين عن العمل، أو الذين يعتمدون على شخص مسجون، بالإضافة إلى تشكيل ست لجان متخصصة تهتم بالترتيبات الصحية والتعليمية والحراسة والزراعة.

وفي مجال الحراسة و الأمن وضعت اللجان برامج للحراسة تشمل الذكور البالغين في الحارة لحراسة الحارة على مدار الساعة وطوال الوقت، وتبدأ الحراسة من الحادية عشرة ليلا حتى الثالثة صباحا بهدف مواجهة اللصوص والمستوطنين في حال مهاجمتهم للبلدة أو لقوات الاحتلال[3].

قرعت أجراس الكنائس في بيت ساحور يوم 1988/10/3 تحديا لمنع التجول لاستدعاء الناس للمشاركة في جناز، فجاؤا يرددون الشعارات ويعربون عن السخط إزاء مقتل أول شخص من

(1) مجلة المجلة، العدد 512، 1988/12/12م.
(2) الدستور 89/2/7.
(3) الدستور 89/2/7.

البلدة منذ بداية الانتفاضة الفلسطينية سيمون جلال عيسى غانم 17 عاما، قتل نتيجة سقوط حجر على رأسه من سطح بيت مكون من أربعة طوابق في البلدة، كان يستخدم سقف البيت كنقطة مراقبة من قبل الجنود الإسرائيليين، وقد زعم الجيش أن الحجر سقط بالصدفة، بينما أكد السكان أن سقوطه كان متعمداً[1].

وقد جرت له جنازة مهيبة شارك فيها عشرة الاف مواطن قدموا من بيت لحم، ومن القرى المجاورة، مسلمين ومسيحيين، مما اضطر قوات الاحتلال إلى فرض منع التجول، ثم اضطرت إلى الانسحاب من البلدة امام الاشتباكات التي جرت بعد ذلك [2].

اتصل كبار ضباط الجيش بزعماء البلدة، في محاولة لتهدئة المشاعر، ولكن جمهوراً ساخطاً تجمع ولم يفرقه الجنود إلا بمساعدة الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي، وقد فرض منع التجول بعد أقل من يومين من رفعه، فقبل ذلك بعشرة أيام قام الجيش الإسرائيلي بتمشيط البلدة في محاولة للعثور على قادة اللجان الشعبية التي أعطت لبيت ساحور سمعة على أنها أفضل بلدة فلسطينية منظمة في المناطق المحتلة[3].

إن قوات الاحتلال التي بدأت مسعورة تصادر الممتلكات وتصادر الحريات بحيث وصلت الهمجية إلى الأطفال الذين أفرزهم شارع المقاومة بأن يكونوا أبطالا لا يخشون الموت أو التشويه.

هذا الواقع الذي تنقله وكالات الأنباء، وبخاصة تشويه أصابع الطفل الذي رفع شارة النصر وهو يقاد إلى خيمة المجزرة المنتظرة مادام الشعب يرفض دفع الضرائب أو القبول بمرشحين يكونون بدائل للمنظمة في حلقات المباحثات التي يهيئ لها شامير وبيكر أمام هذه القلة من الافرازات لابد من تصعيد المواجهة بالعصيان المدني، والذي يعد قمة التغيير النوعي في المقاومة التي تسعى القيادة الوطنية الموحدة الوصول إليه ما دامت كل الأبواب السياسية اغلقت[4].

وزير الدفاع الإسرائيلي اسحق رابين يصر على أن أعمال الإغارة الإسرائيلية تتم بسلطة شرعية كاملة، ولكن بعض الخبراء يكذبون ذلك، قد قال بشكل غامض عندما زار البلدة مؤخرا: القانون يقول إن كل من يخالفه سنطبق بحقه أقصى العقوبات على أن مدى القناعة القائمة حول مشروعية الغارات لا تجاريها رغبة للسماح للصحفيين بمراقبتها.

(1) القبس الكويتية، عدد 5836.
(2) الدستور 89/2/7.
(3) صحيفةالقدس المقدسية1989/10/4م.
(4) شؤون سياسية 89/11/13.

هذا نادر قمصية نراه عابسا وهو ينظر إلى محل تجارته بعد أن غادره الإسرائيليون، لقد حمل جباة الضرائب معهم في شاحنة نقل أفضل ثلاثة مناشير كهربائية لديه، ومع ذلك ظل نادر على موقفه المتحدي للإسرائيليين وقال متنهداً: «لا نعرف حتى الآن ما إذا كان السبب هو ضريبة الدخل أم غيرها، لكننا لم ندفع أية ضرائب منذ اندلاع الانتفاضة، ولن ندفع الآن وستدبر الأمر بدون الآلات؛ لأن هذه الحكومة ليست حكومتنا والكل في بيت ساحور يؤمن بذلك»[1].

وقال جمال بنوره لضيوفه: أعتذر لإجلاسكم على الأرض، فقد صادرت القوات الإسرائيلية وجامعوا الضرائب المقاعدة التي كانت في منزلي.

إن الاف الحالات المشابهة حدثت في المناطق الفلسطينية خلال العامين الماضيين، حيث امتنع السكان في مئات القرى والمدن عن دفع الضرائب، الأمر الذي دفع بسلطات الضريبة إلى ابتكار أساليب قاسية لجباية الضرائب وتوسيع نطاقه، وبوساطة تلك الأساليب نجحت السلطات الضريبية بجباية جزء من الضرائب تحت حماية ودعم قوات الاحتلال.

لكن ما الذي أعطى خاصية معينة لبيت ساحور؟ هنك عدة مميزات تميز البلدة عن غيرها تؤهلها لتكون قلب العصيان المدني الحقيقي، فمعظم الشباب فيه ينتمون للمنظمات الفلسطينية، كما أن هنك حوالي 75% من السكان هم من المسيحيين، لذلك فإن الكنائس فيها تشكل مراكز للتنظيم الجماعي وحلقة وصل خاصة مع الممثليات الأوروبية وغيرها في القدس، فضلا عن أن مستوى التعليم لسكانها هو الأعلى في الضفة الغربية، ومعظم السكان من اصحاب المهن الحرة، وهي قريبة من القدس، لذا فإن الوصول إليها من قبل الصحفيين والدبلوماسيين سهل.

هذا، وفي ضوء اصرار سكان بيت ساحور على مواصلة تمردهم الضريبي رغم كل إجراءات التنكيل والمصادرة لممتلكاتهم المستمرة منذ أكثر من خمسة أسابيع وزعت قيادة الجيش الإسرائيلي منشورا على سكان البلدة أوردت نصه صحيفة علهمشمار في عددها الصادر يوم 1989/10/20م، دعت فيه السكان إلى تناسي الاهتمام الاعلامي بهم؛ لأنه سوف يتلاشى في نهاية الأمر ودعتهم بالتالي إلى دفع الضرائب[2].

وقال أحد المواطنين في بيت ساحور الذي يعمل نجاراً بنبرة تحد وهو جالس في غرفة معيشته الخاوية: «إنهم يريدون قصم ظهر بيت ساحور، ولكن ظهورنا لن تقصم». وقال السيد بنوره: «إنهم سيواصلون حملتهم وسنواصل نحن المقاومة، إنهم يخشون أن يحذو الجميع حذو بيت ساحور».

(1) شؤون سياسية 89/11/13.
(2) الشعب 89/10/29.

وقال السيد حنا الأطرش رئيس بلدية بيت ساحور: «لقد تبنى الناس شعار لا ضرائب تحت الاحتلال، وإننا نواجه أوقاتا حرجة وستتسبب الحملة الإسرائيلية في كارثة للبلدة، وأضاف قائلا: «إنها مسألة مبدأ وليست مسألة مبلغ»[1].

وتعد هذه المقتطفات جزء يسير من أقوال مواطني بيت ساحور ردا على ما ذكره اسحق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي السابق ضد بيت ساحور بقوله: «إننا سنلقن أهالي بيت ساحور درسا لن ينسوه حتى ولو اضطررنا لفرض حظر التجول لمدة شهرين لن ندع العصيان المدني ينجح ولن تقوم ولن تكون هناك محاولة لعدم دفع الضرائب، وهذا امحتان يجب اجتيازه بكل حزم؛ لأنهم يريدون تحويل بيت ساحور إلى رمز، وقد تحولت بيت ساحور فعلا إلى رمز شامخ من رموز الانتفاضة، وتحول درس رابين إلى ورطة إسرائيلية كاملة، حيث اضطرت السلطات العسكرية إلى فك حصارها العسكري عن بيت ساحور ووقف هجمتها الضرائبية الوحشية عنها بعد 41 يوما متواصلة من النهب والسلب والسرقة ومصادرة الممتلكات وإهانة واذلال المواطنين واعتقال بعضهم.

رابعا: حركة التضامن مع سكان بيت ساحور

دعت القيادة الموحدة للانتفاضة إلى تصعيد الانتفاضة تأييدا لبيت ساحور، ودعت إلى تنظيم اضراب عام لمدة خمسة أيام، والقيام بعصيان في الشوارع لمساندة حملة العصيان المدني، وحذر المناضل الفلسطيني فيصل الحسيني سلطات الاحتلال من أن الفلسطينيين لن يسمحوا بسحق بيت ساحور، مما أدى إلى تردد نداءات إسرائيلية باعتقاله وإبعاده خارج فلسطين المحتلة، والتقى السيد الحسيني ودعاة فلسطينيون لحقوق الإنسان مع عدد من القناصل الاجانب ليطالبوا الحكومات الغربية والولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل من أجل وقف عمليات المصادرة.

وذكرت صحيفة (القدس المقدسية) أن حركة السلام قامت يوم الجمعة 1989/11/12 بالتوجه إلى بيت ساحور في زيارة تضامنية، فأعلن جيش الاحتلال البلدة منطقة عسكرية فور سماعه عن الزيارة ودعا الجميع إلى المغادرة، كما منع دخول الصحفيين... وقد التقى اعضاء الحركة بأبناء وأهالي البلدة، حيث رفعوا للافتات المؤيدة للتعايش السلمي، وهتفوا بشعارات تنادي بتحقيق السلام وإقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل، ومن ناحية أخرى تبرعت الحركة بـ (300) شجرة مثمرة، حيث وزعت على أهالي البلدة لزراعتها تعبيرا عن التضامن والمناشدة من أجل السلام[2].

(1) الدستور 89/11/6.
(2) القدس المقدسية 1989/11/12م.

ومنع الجنود الإسرائيلي مجموعة من كبار رجال الدين المسيحي من تقديم المواد الغذائية لبيت ساحور البلدة المحاصرة عسكريا؛ بسبب رفضها دفع الضرائب كتعبير عن مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة، فقد أوقف الجنود الإسرائيليون أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والأرثوذكسية اليونانية والأرمنية عند نقطة تفتيش على مشارف بيت ساحور، وكانت برفقة هؤلاء الاساقفة ثلاث شاحنات محملة بالأرز والطحين وزيت.

وعن هذا الإجراء الإسرائيلي قال (ميشيل صباح) أسقف الكنيسة الكاثولوكية الرومانية في القدس: «إن ما يجري في بيت ساحور ظلم واضح، وهو غير معقول لأي رجل كنيسة أو أي رجل ديني يمتلك ضميراً إنسانيا، وإن الزيارة التي كنا نود القيام بها للمدينة تندرج ضمن إطار واجبنا الأبرشي تجاه شعبنا الذي يتوقع أن يسمع منا كلمة مواساة في مثل هذه الظروف، غير أن أحد الجنود قال: إن البلدة تعد منطقة عسكرية مغلقة، وزعم إنه تم منع الاساقفة الثلاثة من الدخول إليها حفظا لسلامتهم، لكن رجال الدين كدوا العرض الذي قدمه لهم المسؤولون العسكريون مهيناً ورفضوه، وكان هؤلاء المسؤولون قد عرضوا عليهم نقلهم بسيارة صغيرة مع مرافقة مسلحة.

وقد اغلقت سلطات الاحتلال كل منافذ البلدة ومنعت الدخول إليها، كما صادرت الأمتعة المنزلية والبضائع التجارية والسيارات والآلات بدلا من جباية الضرائب، ولم يكن أمام الأساقفة الثلاثة بد من العودة إلى كنيسة العذراء في القدس التي يعتقد المسيحيون أنها المكان الذي به السيد المسيح، وبقي الجنود الإسرائيليون المدججون بالسلاح يقومون بحراسة الكنائس الارثوذكسية والرومانية التي كان يقف إلى جوارها مجموعة صغيرة من السكان الذين كانوا ينتظرون عبثا وصول الاساقفة، وتقدمت امرأة من تلك المجموعة وقالت: لقد أردنا أن نبلغهم بما نواجه من متاعب، فلقد أخذ الجنود جهاز التلفزيون والبرادي وأثاث المنزل وكل شيء نملكه في منزلنا.

والواقع أن ثورة بيت ساحور لفتت انتباه البابا يوحنا بولس الثاني الذي أعرب مؤخراً عن تأييده للمطالب الفلسطينية التي تستهدف إقامة وطن مستقل لهم، وفي هذا الصدد قال البابا: «أتمنى أن أرى الشعب الفلسطيني يحقق مطلبه الشرعي بالعيش بسلام في بلده الخاص به»[1].

ورداً على تعليقات البابا قال - أولمرت - الوزير بلا وزارة والمقرب من رئيس الحكومة- إسحاق شامير- «لقد أظهر الباب تعاطفا واضحا مع الفلسطينيين، بينما يعمل بلا مبالاة تجاه اليهود»، جدير بالذكر أن الجنود يفرضون حظرا على بيت ساحور يبدأ من الغسق وحتى الفجر،

(1) الانباء1989/10/29م.

ويقضي العديد من هؤلاء الجنود الليل وهم متمركزون على أسطح المنازل لمراقبة الشوارع، كما تم قطع خطوط الهاتف واعترض الجنود شحنات الخضار والحليب وغاز الطبخ، لكنهم سمحوا بمرور الطحين[1].

ولكن الانتفاضة علمت الشعب الفلسطيني التعاون والتضامن ومد يد العون لمن يحتاج، فقد ذكرت صحيفة الاتحاد الحيفاوية أن دير حنا تجاوبوا مع نداء اللجنة القطرية لجمع مواد تموينية لمساعدة الأهل في المناطق المحتلة، إذ توجهت يوم الجمعة 1989/11/10م، صباحا الشاحنة الأولى محملة بالمواد الغذائية وشملت خمسة أطنان من الطحين وخمسة أطنان من السكر والارز والزيتون والعدس وغيرها من المواد الغذائية، وقد رافق الشاحنة وفد من لجنة الاغاثة في دير حنا لتسليمها للأهل في بيت ساحور.

وعلق - أوري ينر- مراسل صحيفة هآرتس الإسرائيلية للشؤون العربية مي مقالة الذي نشره في 1989/10/20 عن الأوضاع السائدة في بيت ساحور قائلا: «في رفضهم الجماعي دفع الضرائب إلى السلطات الإسرائيلية اصبح سكان بيت ساحور حالة فريدة توعوية، تعكس مجمل الوضع السائد في المناطق بشكل عام، فالتمرد الضريبي، في البلدة التي يسودها الغليان والتي تمكنت من بلورة نفسها تعد المرة الأولى التي يقرر فيها سكان بالكامل الامتناع امتناعا جماعيا عن دفع الضرائب، وبعد ذلك التزموا بقرارهم لدرجة فقدانهم لممتلكاتهم التي تقدر بملايين الدولارات»[2].

إن عملية جباية الضرائب والمصادرة الواسعة التي شنتها السلطات الإسرائيلية مؤخرا ضد بيت ساحور كانت مخططة ومعدة مسبقا بصورة جيدة، وقد نفذت هذه العملية في أعقاب اصرار السكان على عدم دفع الضرائب وهم مازالوا مصرين على هذا الموقف، رغم أن الإدارة المدنية تعتزم عرض الممتلكات المصادرة للبيع بالمزاد العلني، وبالتالي ستكون خسارة السكان ضخمة، وكما ذكر أن الاف الحالات المشابهة حدثت في المناطقة خلال العامين الماضيين، حيث امتنع السكان في مئات القرى والمدن عن دفع الضرائب.

لقد أدى الامتناع عن دفع الضرائب إلى تعريض العديد من المواطنين وبخاصة التجارة إلى المضايقات المختلفة من قبل سلطات العدو والتي أخذت تداهم محلاتهم وتستولى على محتوياتها بحجة جمع الضرائب المختلفة، عندئذ وقفت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة بشجاعة إلى جانب التجار، وأعلنت يوم 1989/6/24 يوما للتضامن مع التجار البواسل واستنكارا

(1) الاتحاد الحيفاوية 1989/11/14م.
(2) الرأي 89/10/25.

للمداهمات وحجز الممتلكات والاستدعاءات، وطالبت القيادة الوطنية الموحدة بتوجيه الضربات لمكاتب الضريبة والعاملين فيها إلى جانب عدم دفع الكفالات والغرامات المالية لخزينة سلطات الاحتلال، وحينما تمادت سلطات الاحتلال في حملتها الشرسة ضد المواطنين الذين امتنعوا عن تسديد الضرائب وأخذت تداهم محلاتهم ومخازنهم وحتى منازلهم وتصادر كل ما تجده في طريقها، رأت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة أن الرد يتمثل في التصدي الحازم والجماعي لسلطة الضريبة وعدم الانصياع لابتزازها[1].

واصدرت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة بيان رقم (22) بتاريخ 1989/11/1م، دعت فيه إلى مواصلة معركة الضرائب، حيث أكدت على ضرورة الاستمرار في الامتناع عن دفع الضرائب، وأهابت الفرق الضاربة بضرورة تكثيف عملها في المدن والقرى والمخيمات والتصدي الحازم والفعال لرجال الضريبة مصاصي دماء شعبنا.

كما أهابت بلجان التجار في مختلف المناطق بتوحيد مواقفهم من أجل إنجاز مهمة عدم دفع الضرائب، وطلبت إلى القوات الضاربة مصادرة وإحراق كشوفات الضرائب واغلاق مكاتب المحاسبين الذي يقدمون الكشوفات لسلطات الضريبة، وحيث بالمقابل استجابة المحاسبين لقرارات القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة بأن أغلقوا مكاتبهم ولم يعودوا يتعاملوا مطلقا مع كشوفات الضريبة.

وقد باشرت القوى الضاربة مهماتها فوراً فتصدت لمداهمات رجال الضريبة ولسيارات المستوطنين ودوريات الاحتلال... وتتوالى القوى الضاربة اغلاق الشوارع بالحجارة أيام الاضراب الشامل وتوجيه المظاهرات وقيادتها ورفع الاعلام الفلسطينية، وكتابة الشعارات الوطنية وملاحقة العملاء... حيث تم إجبار رئيس روابط القرى في البلدة على الاستقالة أمام الناس وحمل العلم الفلسطيني وسار في مقدمة المظاهرة، وتوزيع بيانات القيادة الموحدة، وايصال المساعدات الغذائية إلى المحتاجين، ووضع المسامير على الطرق التي تستخدمها سيارات الاحتلال... إلخ[2].

ولكن سلطات الاحتلال استخدمت إجراءات جديدة لإجبار مواطني بيت ساحور على دفع الضرائب، منها الإجراءات الإدارية فربطت تصريح زيارة عمان والعديد من المعاملات بالحصول على براءة ذمة من سلطات الاحتلال والتي لا تعطى إلا بعد دفع الضرائب والجمارك والرسوم المختلفة، إزاء عملية المصادرة والنهب التي قامت بها سلطات الاحتلال.

(1) الرأي 1989/6/24م.
(2) الدستور 89/2/7.

في ضوء هذه الإجراءات وزعت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة بيانا خاصا ليس في بياناتها المرقمة التي تصدر في ميعاد معلوم وتطرق إلى نقطتين مركزيتين هما العقوبات الاقتصادية التي تفرضها سلطات الاحتلال على سكان قطاع غزة، وعملية جمع الضرائب في بيت ساحور، حيث دعا البيان إلى اضراب عام يومي الخميس والجمعة 5 ,1989/11/6م، بعدهما غضبا واحتجاجا وتصعيد تضامن مع أهالي بيت ساحور.

ودعت الانتفاضة إلى أهمية الجانب الاقتصادي في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي بخاصة أنها اندلعت في مرحلة يُعاني فيها الاقتصاد الإسرائيلي من أزمة اقتصادية حادة لتعمق الانتفاضة هذه الازمة وتزيد من تفاقمها، فقد شكلت الضرائب إلى جانب مصادر اقتصادية أخرى إيراداً عاليا للاقتصاد الإسرائيلي، إذ قدر المتوسط السنوي لإيراد الضرائب التي تجبيها إسرائيل سنويا بمعدل (150) مليون دولار، وكان قدراً أن يصل عام 1989 إلى حوالي (200) مليون دولار من الضفة الغربية وقطاع غزة[1].

ولهذا فقد دعت قيادة الانتفاضة بشكل واضح وصريح في بيانها الثاني إلى تعزيز النضال من أجل إلغاء القوانين والإجراءات الضريبية كافة، وإن كانت لم تطالب بالامتناع الكلي عن دفع الضرائب إلا أنها وبحكم استراتيجية التدرج والاعتدال التي انتهجتها دعت إلى البدء في الغاء الضريبة الاضافة المفروضة تعسفا على تجار شعبنا على أساس أن هذه الضريبة لا مبرر لها، ولم يقصد منهم سوى المزيد من إرهاب المواطنين بجني أموالهم ونهب مقدراتهم عن طريق اللجوء إلى فرض العديد من الضرائب الجديدة التي لا مسوغ لها، وبخاصة هذا النوع من الضرائب الذي عرف «بالضرائب الإضافية»، وأكدت قيادة الانتفاضة في بيانها الخامس دعوتها التجارة كافة إلى الاستعداد لخوض معركة التوقف عن دفع الضرائب الإضافية تحت شعار«لا للاحتلال، لا للضريبة الإضافية»، إلى جانب الاستعداد لحرق دفاتر الضريبة، كما طالبت بالامتناع عن دفع الغرامات الباهظة والجائرة التي تفرضها المحاكم الصهيونية على معتقلي الانتفاضة، وبعد مرور حوالي أربعة أشهر على انطلاقة الانتفاضة وانسجاماً مع برنامجها الرامي إلى توسيع دائرة المواجهة وتعميق ضربها للعدو طورت الانتفاضة شعارها الضرائبي من «لا للضريبة الإضافية» إلى «لا للضريبة بأشكالها كافة»، وأن الضرائب تشكل الشريان الذي يموّت الاحتلال ويمده بأدواته القمعية.

وهكذا انتقلت معركة الضرائب إلى مرحلة جديدة تنبثق من أن وحدة موقف الشعب بالامتناع عن دفع الضرائب الحق بالاحتلال هزيمة إلى هزائمه، وانسجاما مع هذا التوجه، ومن جل

(1) الدستور 89/11/1.

استكمال صورة الموقف توجهت قيادة الانتفاضة إلى العاملين في دائرة الإدارة المدنية في الشرطة والعاملين في جهاز الضرائب مطالبة إنهاء عملهم والاستقالة الفورية وأرفقت ذلك بالتلميح إلى أن يد المجموعات الضاربة طويلة، وإن إرادة الشعب لا يثنيها جيش الاحتلال، كما أشير على المحاسبين بعدم التعامل في مجال الضرائب[1].

وطلب إلى التجار عدم تقديم أو حتى ترتيب كشوفات الضرائب، كذلك جاء في البيان العائد إلى الانتفاضة تحذير واضح يقضي بمعاقبة كل من لا يلبي نداء الوطن والواجب، وحيت القيادة بالمقابل موقف التجار والمهنيين والحرفيين وكل من امتنع عن دفع الضرائب التي تفرضها سلطت الاحتلال، وثمنت الموقف الجماعي الموحد لتجار بعض المناطق لالتزامهم جماعياً بعدم دفع الضرائب ولاستجابة عدد لا بأس به من لجان الشرطة والجمارك والضريبة لطلب الانتفاضة بتقديم استقالتهم وامتناع الغالبية العظمى عن دفع الضرائب.

وانتقلت بعدها معركة الضرائب إلى مرحلة أخرى، فبعد أن كانت الدعوة موجهة للتجارة بالامتناع عن دفعها عممت قيادة الانتفاضة تلك الدعوة لتشمل القطاعات الشعبية كافة، وأكدت على مقاطعة أشكال الضرائب كافة.

كما انتقلت المعركة من الطلب بالامتناع عن دفع الضرائب إلى تحريم دفعها مهما كان نوعها وبأي شكل من الأشكال، مما يعني عدم الاكتفاء بالطلب بالامتناع بل أرفقت ذلك بالعقاب لكل من لم يمتنع عن دفع تلك الضرائب.

لقد أدى الامتناع عن دفع الضرائب إلى تعريض العديد من المواطنين وبخاصة التجار إلى المضايقات المختلفة من قبل سلطات الاحتلال التي أخذت تداهم محلاتهم وتستولي على محتوياتها بحجة جمع الضرائب المختلفة، وعندئذ وقفت قيادة الانتفاضة إلى جانب التجار، حيث أعلنت يوم 1989/6/24م، يوما للتضامن مع التجار البواسل واستنكارا للمداهمات وحجز الممتلكات والاستدعاءات، وطالبت القيادة بتوجيه الضربات لمكاتب الضريبة والعاملين فيها، إلى جانب عدم دفع الكفالات والغرامات المالية لخزينة سلطات الاحتلال، وحينما تمادت سلطات الاحتلال في حملتها الشرسة ضد المواطنين الذين امتنعوا عن تسديد الضرائب، وأخذت تداهم محلاتهم ومخازنهم، وحتى منازلهم، وتصادر كل ما تجده في طريقها، ، رأت قيادة الانتفاضة أن الرد يتمثل في التصدي الحازم والجماعي لسلطة الضريبة وعدم الانصياع لابتزازها[2].

(1) الدستور 89/11/1.
(2) الدستور 89/11/1.

ولإن صمود بيت ساحور كان ماثلا أمامها قامت سلطات الاحتلال في أوائل تموز عام 1988م، بمعاقبة موقف البلدة الممتنعة عن دفع الضرائب بمصادرة اثنتين وستين سيارة إضافة إلى مصادرة بطاقات الهوية من خمسين مواطنا ممن لم يدفعوا الضرائب، في اعقاب ذلك تجمع عدد من أبناء البلدة وقاموا بمظاهرات سارت إلى مبنى البلدة، حيث سلموا المسؤولين هناك(150) بطاقة هوية كانت بحوزتهم احتجاجا على الخطوة الإسرائيلية، وقامت قوات الاحتلال بتفريق المظاهرة، حيث أشادت قيادة الانتفاضة بهذا الموقف البطولي، ودعت المواطنين إلى الاقتداء بنموذج بيت ساحور في مجابهة رجال الضرائب واصدرت بيان رقم (22) أكدت فيه على ضرورة الاستمرار في الامتناع عن دفع الضرائب، وأهابت بالفرق الضاربة بضرورة تكثيف عملها في المدن والقرى والمخيمات والتصدي الحازم والفعال لرجال الضريبة مصاصي دماء شعبنا، كما أهابت بلجان التجار في مختلف المناطق بتوحيد مواقفهم من أجل إنجاز مهمة عدم دفع الضرائب، وطلبت إلى القوات الضاربة مصادرة وإحراق كشوفات الضرائب واغلاق مكاتب المحاسبين الذين يقدمون الكشوفات الضريبية إلى سلطات الاحتلال[1].

(1) الدستور 89/11/1.

الفصل الرابع

الحصار الإعلامي في بيت ساحور

الحصار الاعلامي في بيت ساحور

خلال الاسابيع الاربعة الماضية بدت بيت ساحور نموذجاً للشرك الذي حشرت فيه إسرائيل نفسها داخل الأراضي المحتلة، وأظهر الصراع برهانا على أنه عندما تفوز إسرائيل عسكريا فإنها تخرج خاسرة سياسيا، أما المسألة الفلسطينية فإنها تحظى بإنجازات ومكاسب كثيرة، ووجدت إسرائيل نفسها متورطة، وكان موقع المواجهة مريحا للفلسطينيين، فالمدينة قريبة من مركز وسائل الاعلام الدولية، ومن مقرات قناصل الدول الاجنبية والكنائس، ولهذا حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والتعاطف المحلي والعالمي، وصارت رمزا للثورة البيضاء، واستناداً إلى مصادر امنية إسرائيلية فإن فشل جهاز المخابرات في تحديد اللجان الشعبية، وفي اعتقال اعضاء القوات الضاربة التي تحكم المدينة أطال امد الصراع، وكان الجهاز الضرائبي الذي يمثل سلطة الاحتلال في بيت ساحور، كما في الضفة الغربية هدفا لزعماء الانتفاضة منذ البداية.

نتيجة لذلك انخفضت جباية الضرائب في الأراضي المحتلة بنسبة 30% أي بقيمة (150) شكيل، وهي الأموال التي تسغلها السلطة العسكرية في تغطية أجور ونفقات مئات الإسرائيليين من الجنود والمدنيين العاملين في الإدارة المدنية، ففي البداية حاولت إسرائيل أن تبقي الأمر في الظل والحفاظ على هدوء الحملة العسكرية على المدينة، إلا أن الأهالي قرروا المواجهة وتحطيم التعتيم الاعلامي والسياسي، وحددوا بأنفسهم قواعد اللغة، حينها راود إسرائيل الخوف من امتداد العصيان المدني إلى أماكن اخر، واستمرت المداولات في الدوائر الأمنية والعسكرية والسياسية بضعة أيام لاتخاذ قرار خوض المغامرة الأمنية، واشترك في تلك المداولات وزير الدفاع قائد المنطقة الوسطى الذي تحدث بأسى أما الصحافيين، في الوقت الذي كانت الجرافات العسكرية تزيل السواتر الترابية من داخل المدينة عندما أعلن عن انتهاء الحملة وقال: «إن ذلك لا يعني تغيراً في السياسة الإسرائيلية وخلافا للتصورات والتقديرات التي وضعها الجهاز الأمني حول نتائج عملية بيت ساحور، فقد زاد الأسلوب الإسرائيلي من حدة ردة الفعل الفلسطيني التي لم تكن متوقعة[1].

وقد كانت الصحافة الإسرائيلي غائبة عن كل ما يجري في بيت ساحور تحت ستار أمر التعتيم الذي اتخذته حكومة إسرائيل لقسم ظهر الانتفاضة عبر عملية بيت ساحور، فقد منعت قوات الاحتلال المرابطة على مدخل بيت ساحور الغربي عشرات الوفود الصحفية وشبكات التلفزيون العالمية من دخول المدينة، والتي قدمت لتقصي الحقائق حول الحملة الضريبية التي خضعت لها المدينة منذ أكثر من أربعين يوماً، وذلك بعد إعلان السلطات عن نيتها وقف الهجمة الضريبية على

(1) الاسبوع العربي 1989/11/13م.

المدينة وقد استطاع ثلاثة أعضاء عرب من الكنيست الإسرائيلية وهم: توفيق طوبي، محمد ميعاري، عبدالوهاب دراوشه من التسلل إلى بيت ساحور في 1989/10/23، ونقلوا شهادات حية عنها وحاولوا شن حملة اعلامية واسعة إلا أن وسائل الاعلام الإسرائيلية ظلت مسترخية تحت الأمر العسكري تماما، كما تجاهلت موضوع بيت ساحور نفسه في 1989/10/7 حين صدت القوات العسكرية الإسرائيلية سبعة قناصل لدول أوروبا الغربية عن دخول المدينة المحاصرة، ممكتفية بالحديث عن الضرر الدبلوماسي لهذا الصد دون أكتراث بوقائع وتفاصيل عمليات السلب والنهب داخل المدينة، وفي 1989/10/12 حين نجح القنصل البريطاني «إيفان كالان» بالتسلل إلى المدينة ونقل مشاهداته الحية عنها جن جنون المسؤولين الإسرائيليين، وهددوا بالويل لهذا الدبلوماسي الأجنبي المتطفل، في الوقت الذي لم يجد فيه إعلام إسرائيل من يساره إلى يمينه سوى الحديث عن الأخطار الدبلوماسية في هذا الشأن.

ولما وجه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني نداءه في 1989/10/22م، من أجل إنشاء وطن للفلسطينيين رداً على رسالة من أهل فلسطين المحتلة ينشدونه فيها «المساعدة والتضامن» اتهم اليهود قداسته بعدم التقيد بتعاليم الكتاب المقدس.

وفي 89/10/27، منعت الحواجز العسكرية البطاركة ميشيل صباح وثوذوروس الأول ويفييه دردريان والمطران لطفي لحام ولفيف من المطارنة ورجال الدين من دخول بيت ساحور ومن إدخال الشاحنات التي كانت تحمل مواد غذائية لأهال المدينة المحاصرين.

وفي 1989/10/29، اضطرت السلطات الإسرائيلية السماح لغبطة البطريرك ثيوذوروس الأول بالدخول مع حاشيته إلى بيت ساحور ومناشدة الرب في كنيسة الاجداد فيها من أجل تعزية إخواننا المظولمين والمحزونين في بيت ساحور[1].

وقد انفكت عقدة لسان الصحافة الإسرائيلية بعد ذلك فأنشأت حداشوت افتتاحية لها في 1989/11/1 تحدثت فيها عن النجاح الوهمي الذي أحرزته السلطات الإسرائيلية في بيت ساحور في إعادة الانتفاضة إلى صدر الاهتمام العالمي، وهذه هي المعركة الحقيقية التي خسرنا فيها، وقالت: إن هذا الشكل من جباية الضرائب قد أدخل الطبقات الوسطى في دائرة العداء وساعد في تكريس مفهوم أن الانتفاضة ليست نشاط يصنعه الاف من الشباب فقط، بل هو نتاج مليون ونصف المليون من السكان.

(1) الاسبوع العربي 1989/11/13م.

وقالت صحيفة هآرتس في اليوم نفسه تحت عنوان «عملية تعيسة»: إن الإدارة المدنية وقيادة المنطقة الوسطى أكلتا الطعم الذي القته لهم قيادة الانتفاضة ولم يدرك أي مسؤول فيها إن إسرائيل بذلك قد دخلت حقل الغام الحق اضرارا سياسية بها.

وكتبت صحيفة الجيروزاليم بوست تحت عنوان إعادة تقييم لحادث بيت ساحور «إن حملةالضرائب الواسعة التي شنتها القوات الإسرائيلية ضد هذه المدينة أدت إلى تلاحم السكان وازدياد رفضهم لمبدأ دفع الضرائب والغرامات.

وفي 1989/11/4، كتب الصحفي الإسرائيلية (يشيعياهو بن بورات) في يديعوت احرنوت «أوسع الصحف الإسرائيلية انتشارا مجموعة من التساؤلات حول هذه الحملة الضريبية: كم هي الأموال التي درتها حملة بيت ساحور على إسرائيل، وهل يستحق مبلغ ما بين مليونين وثلاث ملايين شيكل هذه الجهود التي قام بها الجيش الإسرائيلي والإدارة المدنية وجباة الضرائب طوال اسابيع في هذه البلدة المتمردة، وهل يساوي ذلك كله ثمن الهزيمة التي منيت بها صورة إسرائيل أمام العالم.

وكما في الكثير من المرات السابقة تجاهل القائمون على الحملة البعد الإعلامي، فقد أعادت بيت ساحور الانتفاضة إلى وعي العالم ثانية، ومن البداية سعي الفلسطينيون لإعطاء الانتفاضة طابع ثورة بيضاء أي عصيانا مدنيا غير مسلح ودون سفك دماء، وقد حققوا من هذه الزاوية وللمرة الأولى كامل هدفهم.

المدير العام لقسم الجمارك والضريبة الاضافية (مردخاي بيركات) الذي شارك موظفوه بالحملة الضريبية الارهابية ضد بيت ساحور قال أخيرا أنه: «لو حاولت استخدام بعض هذه الوسائل داخل إسرائيل نفسها لكانوا علقوني في ساحة تصيون بحيفا وقاموا بشنقي، ونقلت الصحف الإسرائيلية عن بيركات قوله: «إنه يشك في نجاح جمع الضرائب رغم المحاصرة والترويع والتجويع»[1].

وكان عضو الكنيست دادي تسوكر (داتس) خمسة مقاعد في الكنست، وحاييم رامون (مبام) أكد على أن قضية بيت ساحور تحمل طابعا سياسيا واضحاً، فقد اتضح في اجتماع اللجنة المالية للكنيست أنه على العكس من البيانات التي تدلي بها الأوساط السياسية حول الأزمة المالية وانخفاض جباية الضرائب في الضفة الغربية وقطاع غزة لم تستغل الإدارة المدنية حتى اليوم مبلغ 110مليون شيكل تراكم في خزينتها.

(1) شؤون سياسية، الاثنين1989/11/13 م.

وقد ابرزت لجنة المحامين العرب في القدس في بيان لها صدر في 1989/11/5، إثر منعها من زيارة بيت ساحور بعد رفع الحصار عنها أن السلطات الإسرائيلية المحتلة على مدار عامي الانتفاضة توقفت عن تقديم خدمات أساسية للمواطنين مثل التعليم، إذ أغلقت المدارس والمعاهد والجامعات وتوقفت عن صرف رواتب المعلمين.

وقد جبيت الخدمات الصحية واستحدثت بالمقابل إجراءات وطرقا وابوابا لابتزاز المواطنين وتغريمهم المزيد من الغرامات والرسوم الباهظة لدى التوجه للدوائر الرسمية في أي شأن إداري، وأنه في الأساس لا توجد ميزانية واضحة للأرض المحتلة منشورة علنا، في الوقت الذي ينص فيه القانون الدولي على وجوب صرف جميع الضرائب المجبية في الأرض المحتلة على سكانها على شكل خدمات متواصلة، وأنه لا قانونية للإجراءات والممارسات الإسرائيلية في جباية الضرائب في سياق الاحتلال الإسرائيلي الطويل طالما أن القانون الدولي ينظم حالة الاحتلال المؤقتة فقط.

لكن الاحتلال الإسرائيلي لا يكترث بالقوانين كلها طالما سقطت عنه أخيرا قشرته الليبرالية المزعومة في غمار الانتفاضة المستمرة، وكانت السطات الإسرائيلية قد أعلنت إنها ستقوم ببيع الممتلكات المصادرة في مزاد علني قبل رفع الحصار عن بيت ساحور ببضعه أيام ثم تراجعت عن الموعد الذي حددته وتركت لبعض صحفها المقربة مثل (معاريف) أن تعلن في 1989/11/1 أنها باعت فعلاً جزءا من هذه الممتلكات بما قيمته عشرون الف شيكل، إلا أن المراقبين يشيرون إلى إمكانية زيف هذا الخبر، فهو يجيء على شكل تهديد جديد للمواطنين الساحوريين، كي يعملوا على استرجاع ممتلكاتهم بسرعة، بعد أن يرتبوا جدول دفع الضرائب مع الإدارة المدنية[1].

ولكن بيت ساحور مدركة لهذا كله، وقد كان عرسها الحقيقي صباح الأحد 1989/11/5، حين اضطرت السلطات العسكري الإسرائيلية بعد محاولتين للمنع إلى إفساح الطريق أمام سماحة الشيخ سعد الدين العلمي مفتي مدينة القدس، ووفد من رجال الدين المسلمين والمواطنين من مختلف أنحاء الأرض المحتلة للدخول إلى بيت ساحور والالتقاء برئيس بلديتها السيد حنا الأطرش، والمطران لطفي لحام، ورجال الدين المسيحيين والمسلمين إلى كنيسة دير اللاتين في المدينة، حيث القى الشيخ العلمي كلمته في شكل فتوى: «إن الحمد لله رب العالمين، وبعد، فلا يجوز لأي إنسان أن ينهب أخاه الإنسان بغير حق، والأموال المنهوبة لا يجوز بيعها ولا شراؤها ولا استعمالها بأي شكل من الأشكال، ومن باع شيئا من تلك الأموال فبيعه باطل، وإن حكومة إسرائيل تريد بيع الممتلكات التي صادرتها ولا يجوز لمسلم ولا لعربي ولا لأي إنسان ذي ضمير حي شراء أي شيء من تلك الممتلكات المنهوبة. . . وأكد المفتي على أننا شعب واحد متلاحم منذ

(1) شؤون سياسية، الاثنين1989/11/13 م.

الأزل، وكان الأطفال في الكنيسةوخارجها يوزعون اغصان الزيتون على الزوار، وبخاصة اعضاء الوفود الامريكية والاوروبية التي تدفقت إلى بيت ساحور منذ الصباح، تعبيرا عن السلام الذي يسعى إليها شعبنا كله، وكانت الهتافات تملأ المدينة رغم كثافة الوجود العسكري الإسرائيلي بالطول والعرض بيت ساحور تهز الأرض، وحدة وطنية إسلام ومسيحية ودولة فلسطينية[1].

وبعد انتهاء الحملة الضرائبية الإسرائيلية على مدينة بيت ساحور والتي استمرت ستة أسابيع قامت جرافة عسكرية بإزالة المتاريس الموجودة على مدخل المدينة، وتجمع المواطنون في الساحة الرئيسية للاحتفال، ومن أجل مرافقة الصحافيين إلى بيوتهم لإطلاعهم على اثار العدوان علي ممتلكاتهم.

وقامت مجموعة من النساء والأطفال تضم حوالي خمسين شرخاً بالمسيرة والهتاف بلادي. . . وبلادي. . . فيما تابعت دورية عسكرية المسيرة، وكانت تصدر لهم الأوامر باللغة العربية للعودة إلى بيوتهم.

وصرح رئيس الإدارة المدنية في الضفةالغربية الجنرال (شايكي اريز) للصحافيين أنهينا حصارنا للمدينة بعدما عملنا على ما أردنا بل وأكثر من ذلك، وكانت لدينا قائمة بأسماء (320) مواطنا رفضوا دفع الضرائب، ونحن حصلنا على ضرائب من (400) مواطنا.

وقامت قوات الاحتلال باعتقال (40) تاجرا، حيث حكمت المحكمة العسكرية على أربعة منهم بدفع ما قيمته (3 الاف دولار لكل منهم أو السجن لمدة ستة أشهر. وقالت مصادر الجيش بأن بعض التجار دفعوا الضرائب المستحقة عليهم خلال الحصار[2].

من ناحية أخرى صرح رئيس البلدية حنا الاطرش لرويتر: «هذا نجاح لنا وهزيمة للجيش، فالغالبية العظمى من المواطنين لم تدفع الضرائب، وأعتقد بأن الجميع هنا اليوم راضين بالرغم مما عانيناه خلال الـ(42) يوما الماضية.

وصرح أحد أفراد عائلة عيسى كوكالي (62 سنة) متقاعد للصافحيين بأن قوات الاحتلال استولت على محتويات غرفة الجلوس، بالإضافة إلى ماكنة الغسيل والثلاجة بمحتوياتها من المواد الغذائية، وقال الصحافيون بأن كوكالي كان يجلس على سرير حديدي أحضره ليحل محل المقاعد المصادرة، وقامت العائلة باستعارة ثلاجة من الأقرباء، وقال عصام كوكالي: «الإبن» بأن

(1) شؤون سياسية، الاثنين1989/11/13 م.
(2) تقرير منظمة التحرير بتاريخ1989/10/31، ص 3.

والده يعمل منذ 12 سنة، ولكن الجنود لا حظوا وجود نقود عندنا، ودخلوا البيت وقالوا لنا: من هذه اللحظة عليكم بدفع الضرائب.

وأفادت رويتر بأن السكان قاموا باستخدام الشعار الامريكي الذي كان سائدا في القرن الثامن عشر خلال الثورة ضد البريطانيين «لا ضرائب بلا تمثيل».

وصرحت مصادر إسرائيلية أن الجيش سيقوم ببيع الممتلكات المصادرة بالمزاد العلني، وقالت إحدى مواطنات بيت ساحور عرفت نفسها باسم (سوسن) إذا كانوا يعتقدون بأننا سندفع الضرائب لأنهم صادروا ممتلكاتنا فهم يحلمون، وإذا قاموا ببيعها فلن ندفع الضرائب أبداً[1].

وقال المعلق الإسرائيلي (زئيف شيف) بأن الحصار والعقاب الجماعي لأهالي بيت ساحور أبرز الفخ الذي يواجهه الجيش في الأراضي المحتلة؛ لأن هذه الحملة أصبحت النقطة الرئيسية التي يرتكز عليها الفلسطينيون.

وكتب شيف في صحيفة هآراتس بأن الحاجة إلى توسع العقاب الجماعي ليصل حتى أولئك المستعدين لدفع الضرائب وأولئك الذين كانوا يتعاونون مع السلطات في السابق هي إثبات على الفشل، فبيت ساحور أصبحت رمزاً وعلماً فلسطينيا. وصرح شيف بأن مسؤولي وزارة الدفاع القوا التهمة على (السيشن بيت) سموساد داخلية» لعدم اعتقالها النشطاء الفلسطينيين الذين نظموا العصين وعدم دفع الضرائب، ولأنها لم تنجح في التوصل إلى حل وسط بين التجار والجيش[2].

وقد نبه رؤساء بلديات بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا في بيان مشترك إلى أن الإجراءات الإسرائيلية في المدينة عدا عن كونها مخالفة للقانون، فمن شأنها تصعيد الوضع وتعقيده وزيادة اشتعال النار واستبعاد السلام المنشود، وحث الرؤساء الثلاثة الأمم المتحدة والدول المحبة للسلم على التدخل لدي حكومة إسرائيل لوقف الإجراءات التعسفية ضد سكان بيت ساحور.

ورغم الحصار المشدد تمكن عشرات من الرعايا الأجانب والشخصيات الإسرائيلية من حركات السلام من الوصول إلى المدينة، وجلس بضع مئات من المسلمين والمسيحيين واليهود معاً خاشعين في الكنيسة وهم يحملون أغصان الزيتون فيما عزفت جوقة الترانيم ألحانا ردد الحضور معها كلمات «يارب السلام امنح بلادنا السلام»، وبعد انتهاء الصلاة وصل مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي، وعدد من رجال الدين الذي قال في كلمته: «إننا نجتمع الآن في بيت من بيوت

(1) تقرير منظمة التحرير بتاريخ 1989/10/31، ص 5.
(2) رويتر 1989/10/31، الرأي 1989/10/31.

الله، ونخاطب ربا خلقنا جميعا، إننا نريد السلام القائم على العدل، ونطلب تحقيق العدل والحرية لشعبنا الفلسطيني، وعندما غادر المصلون الكنيسة كان مئات الجنود المدججين بالاسلحة والهروات في وضع استفزاز[1].

وفي ساعات الليل وعندما كان يتولى حظر التجول سدة الحكم في المدينة ويسود الظلام كل الأشياء لم يكن الأهالي يأوون إلى الفراش مبكرين، رغم انقطاع التيار الكهربائي ورحيل التلفزيون إلى مستودعات سلطة الضرائب. وكان التواصل الكلامي حول شؤون الساعة يستمر حتى الهزيع الأخير من الليل، و عندما تشرق الشمس في اليوم التالي كان يمكن مشاهدة الجنود يتمركزون فوق نقاط المراقبة على أسطح المنازل بالقبعات الحمراء وهم يراقبون المدينة.

وفي الأيام الأخيرة التي سبقت انتهاء الحملة نجح عدد قليل من الصحافيين في التسلل عبر تخوم المدينة المحاصرة وبدت الصورة هناك أشبه بمدينة أشباح، فقد خلت الشوارع من المارة ووسائط النقل باستثناء العربات العسكرية التي كان صوتها يسمع من مسافات بعيدة، فيما تنطلق بين الحين والآخر طلقات نارية تتبعها صرخات الجنود بالعبرية محذرين الأطفال بالعودة إلى بيوتهم.

وفي اليوم السابع والعشرين من تشرين الأول لم تسمح السلطات الإسرائيلية لرئيس بلدية بيت ساحور الذي كان قد غادر المستشفى قبل أيام بعد تعرضه لاعتداء على أيدي مجهولين باستقبال البطريرك (ديوروللس) عندما كان قائد المنطقة الوسطى (اسحق مردخاي) يقوم بزيارة سريعة لمواقع الحدث في المدينة التي بدأت تشكل مبعث قلق للقيادة العسكرية[2].

وحتى يوم اعلان السلطة الإسرائيلية عن انتهاء الحملة واصلت الوحدات العسكرية ورجال سلطة الضرائب مصادرة ممتلكات المواطنين واعتقالهم بحجة امتناعهم عن دفع الضرائب، ودوهمت منازل متاخمة لكنيسة الآباء، وفيما كان بطريرك الروم الارثوذكس (ثيودورس الأول) يقيم قداس الاحد بحضور عدد كبير من سكان المدينة بينهم رئيس البلدية وأعيان المدينة، وفي اليوم نفسه أعادت قوات الاحتلال ثلاث شاحنات محملة بالمواد التموينية كانت في طريقها إلى بيت ساحور، وعلى مقربة من الكنيسة رابط عشرات الجنود المظليين ووسط الحشد الكبير من المصلين وقف البطريرك حاملا في يده صولجانا وفي اليد الاخرى غصن زيتون، ونيابة عنه تلا سكرتير البطريرك دعاء من أجل السلام بالعربية، وقوطع الدعاء من الأهالي الذين دعوا البطريك لمشاهدة عمليات المداهمة للمنازل القريبة من الكنيسة، ورأى بعينه الجنود وهم يستجوبون شبانا

(1) الاسبوع العربي 1989/11/13م.
(2) الاسبوع العربي 1989/11/13م.

خرجوا لتوهم من باحة الكنيسة، وجنودا اخرين يحاولون احراق اعلام فلسطينية رفعت فوق اسلاك الكهرباء، وبدأ الجنود الذين تولوا مهمة ارغام السكان على دفع الضرائب يتصرفون بوحشية ضد المواطنين، وأجبر بعضهم نساء وفتيات على تسليم خاتم الزواج والحلي الذهبية، وسرق اخرون (تحوشية العمر) من البيوت، وظلت طوال الوقت الحواجز العسكرية تغلق مداخل المدينة الثلاثة بعدما قطعت خطوط الهاتف وعزلت بيت ساحور عن العالم الخارجي[1].

ومع ذلك فإن حظر التجول كان يرفع عدة مرات عن بيت ساحور خلال فترة المداهمة التي استمرت (43) يوما، ولكن سلطات الاحتلال استمرت في سياسته التعسفية ضد السكان، فقد نفذت خلال تلك الفترة حملة جباية الضرائب من الأهالي بالقوة، وصادرت بضائع وأثاث وسيارات واليات من بيت ساحور[2].

وبالرغم من الأعمال التعسفية التي قامت بها قوات الاحتلال في بيت ساحور إلا أنه لا زال فيها عدد من المشاغل تعمل بصناعة الصوف وخشب الزيتون، من جهة أخرى استمر اغلاق عدد من المحلات التجارية والمصانع تحسبا لمداهمتها من قبل سلطات الاحتلال ومصادرة محتوياتها، ومنها متاجر تعمل في تسويق المواد الغذائية، وسبب اغلاقها اجتياز معظم العائلات الحواجز الترابية صباح كل يوم للتزود بالخضار والمواد التموينية، وحين عودتها تواجه مصاعب في إدخالها في بعض الاحيان من الدوريات الراجلة والمحمولة الموزعة في شوارع المدينة، ولحق بأصحاب هذه المتاجر خسارة يومية[3].

وبعد أيام من انتهاء الحملة لم ينجح اعضاء وفد برلماني جاؤا من السويد من دخول المدينة وابرز العسكريون عند الحاجز أمراً يعد فيه المنطقة مغلقة، وقالت رئيسة الوفد (بيريت لوفستيد) إنها وجماعتها الذين يمثلون احزابا سياسية مختلفة كانوا يطمحون في أداء صلاة لأتباع الديانات الثلاث مسلمين ومسيحيين ويهود من أجل السلام.

وفي غضون ذلك احتشد قرابة ثلاثة الاف إنسان منذ الصباح في قاعة كنيسة اللاتين للمشاركة في صلاة السلام التي دعت إليها فعاليات المدينة تأكيدا على رفض الممارسات الإسرائيلية الأخيرة.

(1) الاسبوع العربي 1989/11/13م.
(2) الاسبوع العربي 1989/11/13م.
(3) الاسبوع العربي 1989/11/13م.

وفيما يتعلق بالاحتجاج الضريبي قال (باردين) أحد الصحفيين الإسرائيليين: إن التقارير عن القمع واستخدام القوة من جانب الحكومة صحيحة، وذكر أنه شاهد رجل غطته الدماء عندما جاء الجنود ليأخذوا أثاث بيته، وأضاف قائلا: «إن الجنود في صيدلية إلياس رشماوي وضعوا جميع الأدوية في حاوية كبيرة وتركوها في الشمس حتى تلفت كلها»، ويقول باردين: إن من شأن أية حكومة أن تتحرك إزاء أي رفض جماعي لدفع الضرائب، ولكن التحرك الطبيعي يجب أن يكون من خلال القانون لا عن طريق مصادرة الممتلكات وبيع ما يكفي لتغطية الضرائب المستحقة على مالكيها، وإسرائيل تمتلك مثل هذه الحلول القانونية، ولكنها تستخدم القمع العسكري لتري الفلسطينيين كما قال (اسحق رابين) أنه ليس بمقدورهم مقاومة الاحتلال، ولكن الفارق أن إسرائيل هي التي تشتكي ولها الحق في ذلك عندما يستخدم الفلسطينيون العنف، ولكن بيت ساحور اختارت أساليب اللاعنف للاحتجاج، ومع ذلك استعملت إسرائيل القوة المسلحة لسحقة[1].

وقال أحد الصحفيين: عندما توجهنا لزيارة بعض البيوت واطلعنا على أوضاعها عن كثب بعد عملية المصادرات ذهلنا، إذ لم يتركوا للعائلة أي شيء في البيت، حتى أنهم صادروا أرزاقهم وسرقوا النقود من جيوب السكان، بحجة أنها مصادرة، وصاروا يهددون كل شخص بدفع 6 الاف -20 الف شيكل- وإلا فإنهم يصادرون الأثاث ويعتقلون صاحب البيت، وقد وصلت الخسة بالاحتلال درجة اعتقال السيدةنائلة عشماوي وابنتها الرضيعة التي لم تبلغ الشهرين؛ لأنها لم تدفع المبلغ الهائل الذي فرضوه عليها، كما اعتقلوا امرأة حاملا. وبدلت السلطات هوية كل من دخل السجن بهوية خضراء اللون يحظر بموجبها الخروج من القرية ومن جهة اخرى فإن لهدف الحقيقي منها هو أن الجنود يلاحقون المارة ليسألوهم عن هوياتهم ثم يعتقلون فوراً كل من يحمل هذه الهوية الخضراء[2].

وقالت أم ماجد (أم لأربعة اولاد) في حجتها الأولى «صادروا مفتاح محل لقطع غيار السيارات بعد أن أغلقوه مدة شهر، ثم داهموا المحل وصادروا كل محتوياته، ثم اعتقلوا ابني عمره (18) عام لمدة خمسة أشهر ونصف الشهر وصادروا التلفزيون وماكنة الخياطة التي اعتمدنا عليها احيانا في معيشتنا، لذلك لن ادفع أي قرش ضريبي».

وقالت أم عيسى (أم لستة أولاد): «اقتحموا البيت وصادروا الثلاجة والغسالة والتلفزيون والدفاية والهواية وماكنة خياطة، ثم اقتحموا منجرة ابني عدنان وصادروا خمس ماكنات صغيرة، وماكنتين كبيرتين وماكنة لحام، وأخذوا (40) دينارا من محفظته، ثم اعتقلوه، وبعد

(1) القدس 1989/10/30.
(2) القبس الكويتية 1989/12/3.

(37.) يوما من اعتقاله حكم عليه بالسجن لمدة شهرين من تاريخ إصدار الحكم، ودفع غرامة ستة آلاف شيكل، ونص الحكم على أنه إذا لم يدفع المبلغ بعد ستة أشهر يسجن مرة أخرى. وقالت أم عيسى: «نحن لن ندفع فلسا واحدا ضريبة الاحتلال».

وقال أنور: «افتتحت محلا للخيزران، وانتهيت منه قبل الانتفاضة وأثناء الهجمة الضريبية على المدينة وجدوا ابني في الطريق صدفة فاعتقلوه، وكان ذلك في 1989/11/15، ثم داهموا البيت في 1989/11/20، وأخذوا ابني وحكموا عليه بالسجن مدة (75) يوما بحجة أنه لم يدفع 6 الاف شيكل كضريبة على محل الخيزران، وفي 1989/11/17، هاجموا محل أخي رجا وصادروا مشغل خشب الزيتون وماكنة كهربائية ثم سجنوه، وقيل لنا أنه موجود في سجن عناتا[1].

وقال أبو ميخائيل: «حكم على بستة الاف شيكل، ولكنني فضلت السجن على دفع أية ضريبة للاحتلال»، وقال موسى «صادروا لي ثلاجة وغسالة وطقم صالون»، وأصدروا احكاما بالسجن على كثير من الشباب بحجة الضريبة، وسجنوهم؛ لأنهم لم يدفعوا شيئاً.

كذلك جمع الجنود الشباب المارين في الطريق وأجبروهم على الوقوف لساعات طويلة ووجوههم للحائط وأيديهم فوق رؤوسهم ثم أجبروهم على الجلوس ليلقوا عليهم محاضرة عن التعايش السلمي بقولهم: إن ممارساتهم هذه هي من أجل التعايش بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني.

أما الأطفال الفلسطينيون الذي يعانون من هذا الوضع حسب ما يرويه الطفل عنان وعمره (5) سنوات خبأت دراجتي في البلكون عندما رأيتهم قادمين لكي لا يأخذوها، ثم قلت للجندي اعطني بارودتك لكي ألعب بها مثلك، ثم قالت نوال: «الذي يلفت الانظار اليوم هو أن اللعبة المفضلة عند الأطفال هي لعبة الطفل الفلسطيني الذي يرمي الجندي الإسرائيلي بحجر ويدميه، ونتيجة لذلك أصيب عدة أطفال بجروح، وهم الذين يأخذون في اللعبة دور الجندي الإسرائيلي.

وعندما تساءل الصحفيون عن ظروف معيشة سكان بيت ساحور قيل لهم: كل من لديه قطعة أرض إلى جانب بيته بدأ يزرعها ويهتم بها بعد الانتفاضة، أو يدعو الأهل والجيران والأصدقاء الذين لا أرض عندهم للمساعدة في الاهتمام بهذه الأرض وزرعها، أما المحصول فيوزع على الجميع، بهذا فقط استطعنا بنشاطنا الدؤوب نحن نساء اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية التغلب

(1) الشعب 1989/12/28.

على الصعوبات والصمود في وجه الاحتلال، احتجاجا على الهجمة الضرائبية، واليوم دعت القيادة الوطنية الموحدة إلى اضراب عام عن دفع أي فلس ضريبة للاحتلال.

وشكرت نساء بيت ساحور حركة النساء الديمقراطيات في إسرائيل على تضامنها وعلى امدادات الاغاثة المتواصلة التي تمدهم بها بين الحين والآخر، وعقد الجميع العزم على النضال والكفاح معا إلى أن تقوم الدولة الفلسطينية ويكون للشعب الفلسطيني عيد استقلال وطني كأي شعب في العالم في دولته المستقلة[1].

وذكر راديو إسرائيل أن بيت ساحور أعلنت يوم 1989/12/13م، إلغاء جميع الاحتفالات الخاصة بعيد الميلاد في المدينة احتاجاً على عمليات جمع الضرائب التي قامت بها دائرة ضريبة الدخل ودعت البلدة جميع سكان المدينة إلى الاكتفاء بالطقوس الدينية فقط[2].

وذكرت جريدة الشعب المقدسة أن المحكمة العسكرية الإسرائيلية في رام الله اصدرت احكاما مختلفة في جلسة الاستئناف التي عقدت يوم الثلاثاء الموافق 1989/12/28، بحق عدد من مواطني بيت ساحور المتهمين بعدم دفع الضرائب، واعتبرت المحكمة الاحكام الصادرة بحقه سارية المفعول بأثر رجعي منذ اعتقالهم[3].

وتذمر بعض مؤيدي إسرائيل من الامريكيين من وسائل الاعلام؛ لأنها تركز كثيرا على اخطاء إسرائيل ضد الفلسطينيين، علما بأنها ليست معروضة حقيقة بشكل كاف، سواء للعالم الخارجي أو للإسرائيليين، وأغلب الظن أن هؤلاء إذا علموا ما يحدث وعرفوا العقاب الذي يحل بالفلسطينيين الذي ينادون بالسلام اعتقد أن المزيد من الإسرائيليين سيكونون على استعداد لإنهاء الاحتلال.

ويقول (باردين): «أنا إسرائيلي أشعر بالقلق إزاء أمن بلادي، وأعتقد أنه لو تسنى للإسرائيليين أن يروا ما يحدث فعلا فسوف يتحقق السلام».

لنتصور أن مواطني إحدى المدن الامريكية الصغيرة قرروا الاحتجاج على سياسة الحكومة الفيدرالية عن طريق الامتناع عن دفع الضرائب، وأن الحكومة ردت بإرسال الجيش إلى هذه المدينة، وقام الجيش بقطع جميع الخطوط التلفونية عن المدينة، ومنع المواد الغذائية من الدخول إليها، وحظر دخول الزوار إليها، وفرض حظر التجول من الساعة (6,30) مساء إلى الساعة

(1) الشعب 1989/12/28.
(2) راديو إسرائيل 1989/12/13.
(3) الشعب 1989/12/28.

(4,30) من صباح كل يوم، ودخل الجنود إلى البيوت، واستولوا على الاثاث والممتلكات التي تزيد قيمتها عن أضعاف ما يترتب على مالكيها من ضرائب غير مدفوعة، وقاموا باقتحام المحلات والقاء السلع في الشوارع واعتقلوا الناس دون توجيه أية تهم لهم، بالطبع لا يمكن تصور حدوث ذلك في الولايات المتحدة، ولكنه يحدث الآن في دولة اخري والحكومة المسؤولة هي حليفة الولايات المتحدة، إنها إسرائيل[1].

ومع ذلك فقد فاقت معاناة سكان بيت ساحور كل تصور، مما دفع السفير البريطاني في إسرائيل إلى إرسال تقرير إلى وزارة الخارجية البريطانية يصف فيها ما يلقاه أبناء البلدة من معاناة علي يد السلطات الإسرائيلية، ولكن على الرغم من كل ذلك يصر أهالي بيت ساحور على الصمود ويؤكدون فخرهم واعتزازهم بما يفعلون، ومعتبرين بلدتهم «يابان الضفة الغربية» إذ تحولت بيت ساحور إلى قلعة لا تقهر ومثل يُحتذى.

(1) الشعب 1989/11/28 ، مقال أنطوني العريس.

الخاتمة

بدأت الانتفاضة في غزة، ثم امتدت إلى باقي الأراضي الفلسطينية المحتلة وسط موجة من الدعم والتأييد الشعبي والرسمي عربيا ودوليا، ووسط رصد إعلامي عالمي، وجدير بالذكر أن الانتفاضة لم تأت صدفة، بل هي امتداد نوعي للثورات الفلسطينية منذ عام 1936م، كما أنها أسلوب نضالي جديد للثورة الفلسطينية المسلحة، وأسلوب نضالي حضاري عصري يأخذ بالاعتبار المتغيرات والمستجدات على صعيد الثورة الفلسطينية والأراضي المحتلة والكيان الإسرائيلي والساحتين العربية والدولية. وقد اعتبرها المحللون والمختصون في شؤون الأراضي المحتلة حالة عرضية ووقتية قد لا تدوم سوى بضعة أيام، أو بضعة أسابيع على أكثر تقدير، وعلى الرغم من أن بيانات الانتفاضة الأولى كانت تشير إلى أهدافها الاستراتيجية التي هي امتداد للصراع العربي الإسرائيلي.

وقد أخذ المراقبوان والمختصون يعيدون النظر في حساباتهم وراحوا يبنون ويضعون دراساتهم وتحليلاتهم لهذه الحالة الثورية الجديدة، منطلقين من الحالة ذاتها، أي من البنية الشاملة للانتفاضة، ولم يقفوا أبداً أمام تصريحات قادة الكيان الصهيوني التي تؤكد أن جيش الاحتلال الإسرائيلي سيحتوي هذا العمل الثوري، وسيصفيه باستخدام مختلف الأساليب القمعية الهائلة التي بحوزته، انطلاقا من القوة العسكرية الإسرائيلية المدججة بأحداث أسلحة الارهاب والقمع في القرن العشرين، هذا ناهيك عن الغرور والعجرفة الذي تمتاز به نفسية قادة الكيان الصهيوني.

إن الانتفاضة عمل ثوري شعبي شامل لا يتوقف إلا بتحقيق الأهداف التي انطلقت من أجلها الانتفاضة، وما التضحيات الجسام التي قدمتها إلا أساس متين لرصف بنيانها الذي يقوى ويشمخ كلما أزداد عدد الضحايا، وإن طريق العودة إلى ما قبل الانتفاضة لم يعد أمراً وارداً.

وخلفت الانتفاضة لجانا شعبية تم تشكيلها حسب الموقع الجغرافي - القرية والمخيم والحي في المدينة- أو حسب الانتماء الاجتماعي- النساء والشباب والطلبة- أو حسب المهنة الاجتماعية أو الاقتصادية- لجان التجار، ولجان الحرفيين، لجان الصناعيين، لجان العمال، لجان المزارعين، اللجان الصحية، اللجان الأمنية مثل لجان الحماية والمراقبة التي حلت محل كل أفراد الشرطة بعد

أن استقالوا في السنة الأولى للانتفاضة . وهناك لجان أخرى اهتمت بتوزيع الطعام والمواد الأساسية ، وبذلك تكون الانتفاضة ولجانها الشعبية قد استطاعت أن تزج جماهير النساء في العمل الثوري بمختلف أشكاله ، وتعتبر هذه الحالة من أبرز التغيرات الاجتماعية التي احدثتها الانتفاضة .

وثمّ تطور آخر احدثته الانتفاضة واللجان الشعبية وهو زج عدد كبير من جماهير التجار في اللجان التجارية التي تُساهم في الاشراف على الاضراب والنشاط التجاري والتنسيق مع لجان الحماية التابعة للجان الشعبية .

كما نجحت الانتفاضة في اشراك جميع الفئات والطبقات الاجتماعية في الأراضي المحتلة في مسيرة الانتفاضة ، ونجح في تحويل نمط حياة الانتفاضة نفسها إلى ممارسة ومعايشه يوميه ومستمرة ، واستطاعت تعزيز قيمة التضامن والتكافل الاجتماعيين بين القطاعات الاجتماعية في الأراض المحتلة ، وتجنيد هذه القطاعات لتنفيذ التوجهات التكتيكية والاستراتيجية للانتفاضة ، ونجحت في صقل وبلورة مفاهيم المبادرة الاجتماعية والفردية من النضال والتضحية اجتثاث حواجز الخوف والرعب من قلوب الناس تجاه حياة جيش الاحتلال وقمعه ، كما استطاعت الانتفاضة ان تلغي جملة من القيم والعادات السلبية ، وأحلت محلها قيما اجتماعية ايجابية بناءة ومتطورة منها :

1 . تعزيز مكانة المرأة ودورها ، إلى جانب الرجل في مختلف المهمات النضالية بما فيها رمي الحجارة والاشتراك في التظاهرات والذهاب إلى المعتقلات والسجون .

2 . الغاء العادات السلبية المتعلقة باحتفالات الزواج ، وتبنت مكانها التقشف والتواضع المنبثقة من ظروف الانتفاضة .

3 . العمل على الغاء النزاعات الفردية والعشائرية ، واللجوء إلى المحاكم لحل النزاعات ومحاربة العصبية العشائرية .

4 . إدخال عنصر الأطفال في المسيرة النضالية للشعب الفلسطيني وزجه في العمل الوطني ، فتعليق الاعلام وكتابة الشعارات واقامة المتاريس في الشوارع والتصدي لآليات الاحتلال العسكري جميعها مهام نضالية تكفل بها الأطفال .

وكانت بيت ساحور رمزا لهذه الانتفاضة ؛ لأنها أول مدينة فلسطينية تعلن العصيان المدني ؛ ولأنها تمثل الوحدة الوطنية والموقف الفلسطيني الموحد في وجه الاحتلال الذي داهم البلدة وتمركز الجنود على سطوح المنازل وأقاموا المتاريس والحواجز على الطرقات ، وتنقلوا من بيت إلا آخر واعتقلوا الكثير من السكان وصادروا ممتلكاتهم تحت اسم الضرائب .

فباسم الضرائب يدنسون المقدسات ويهتكون الحرمات ، وباسم الضرائب تصادر الممتلكات الخاصة والعامة ، فتنهب البضائع وتسلب الأجهزة والأدوات من المنازل ، ويحرم الإنسان من أبسط حقوقه الإنسانية المشروعة ، ويرتكبون أفظع الجرائم متوهمين أنه بإمكانهم كسر الانتفاضة .

وقد استطاعت بيت ساحور بوعي أهلها ووحدته الصمود بثبات أمام وحشية المحتل وأعماله القمعية ، حيث شهدت البلدة معركة غير متكافئة بين الأهالي العزل من السلاح وبين سلطات الاحتلال التي لا تتورع عن اتخاذ أي إجراء لإنهاء الاضراب وإخبار السكان على دفع الضرائب .

وقد استعرض اسحق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي السابق تهديداته القمعية أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست بقوله : «إننا سنلقن أهالي بيت ساحور درسا حتى ولو اضطررنا لفرض حضر التجول لمدة شهرين ولن ندع العصيان المدني ينجح ولن تكون هناك محاولة لعدم دفع الضرائب» ، ولكن أهال بيت ساحور قرروا اجتياز هذا الامتحان بكل حزم لأنهم يريدون تحويل مدينتهم إلى رمز ، وقد تحولت بيت ساحور فعلا إلى رمز شامخ من رموز الانتفاضة ، وستبقى مستمرة حتى تحقق هدفها التي قامت من أجله ، فلم تدفع الضرائب ولم ترضخ المدينة للتهديد والقهر والإذلال ، وتحول درس رابين إلى ورطه إسرائيلية كاملة حين اضطرت السلطات العسكرية التي يقف على رأسها رابين نفسه صباح 1989/10/31م ، إلى فك حصارها العسكري عن بيت ساحور ووقف هجمتها الضرائبية بعد (41) يوما متواصلة من النهب والسلب والسرقة ومصادرة الممتلكات وإهانة وإذلال المواطنين واعتقال بعضهم .

ملحق رقم (1)

في بيان صادر من دولة فلسطين بالامارات

العصيان المدني في بيت ساحور نموذج للصمود الفلسطيني

أصدر سفارة دولة فلسطين لدى دولة الامارات العربية المتحدة بيانا حول الوقفة البطولية لبيت ساحور وما تمثله معان لجهة تصاعد الانتفاضة إلى مرحلة جديدة ومغزاها العميق لمسيرة ونضال الشعب الفلسطيني المجاهد، وفيما يلي نص البيان:

في الوقت الذي تسير فيه الانتفاضة بقوة وصلابة وثبات نحو شهرها الرابع والعشرين، وفي الوقت الذي اكتظت به سجون العدو ومعتقلاته بأحرار فلسطين، واكتظت المستشفيات بالجرحى والمعوقين ضحايا الارهاب الصهيوني العنصري، وفي الوقت الذي أصبح فيه لكل أسرة علم من أعلامها رفعته شهيداً في سماء الوطن، في هذا الوقت تدخل حرب الاستقلال الفلسطينية مرحلة العصيان المدني الذي رفعت بيت ساحور المدينة البطلة المجاهدة شعاره، وأعلنت تصميمها على مواصلته مهما كلفها من تضحيات هانت في سبيل تحقيق الهدف الأسمى.

لقد مارس العدو شراسته وعنصريته ضد أبناء فلسطين، وضد مقدسات فلسطين طوال عمر الاحتلال وعمر كيانه، ولم يستطيع برغم استخدامه لكامل القوى المتوفرة لديه أن يلوي ذراع المقاومة ضده أو يمنع استمرارها، أو يدمر إرادة الشعب الذي رفض بكل إباء وشمم، وهو على استعداد لكل تضحية «أن يرضخ الإرادة الاحتلال أو أن ينحني لمشاريعة المشبوهة»، فأعلن انتفاضته الباسلة التي تدخل بعد أيام شهرها الرابع والعشرين، وأعلنت بيت ساحور أول مدينة تطبق العصيان المدني الكامل أنها لن تدفع للعدو قرشا واحدا يستخدمه لصنع أو شراء الرصاص الذي يقتل أبناء فلسطين، فشن ضدها حملته الوحشية التي دخلت يومها الحادي والأربعين، والتي أسفرت كما تؤكد كل الأنباء عن تجريد أهالي بيت ساحور من كل منقولات بيوتهم ومتاجرهم وتركته ببساطة على الأرض.

إن صمود بيت ساحور في وجه الحملة الشرسة للصهيونية العنصرية هو نموذج للصمود الكبير الذي ستمارسه كل فلسطين عندما يعم نموذج بيت ساحور كافة أنحاء الوطن المحتل، وعندما تطبق الانتفاضة مدعومة من قيادتها وأمتها العربية العصيان المدني الكامل على كافة أنحاء فلسطين

التي أعلن أهلها على لسان سكان بيت ساحور أنهم لا يدفعوا الضرائب إلا لممثليهم الحقيقيين لحكومة دولة فلسطين المستقلة التي ستقوم على أرض فلسطين مهما بلغت درجة الشراسة لدى جيش العدو وقيادته الارهابية.

إن تحرك العالم في مواجهة ما يجري في فلسطين، وما يحدث الآن في بيت ساحور لم يصل بعد إلى الدرجة الكافية لوقف العدوان، فإدارة الرئيس بوش لم يزعجها حتى الآن ما يجري من انتهاك لحقوق الإنسان في فلسطين لسبب بسيط هو أن هذا الإنسان فلسطيني وعربي، ولو كان إنسانا في أي دولة منافسة لإدارة بوش وحكومة الولايات المتحدة، وفرداً واحداً تصم أذنيها عما يجري في فلسطين؟ ولماذا لا تريد أن تفهم ما يجري في بيت ساحور هو انتهاك لأبسط حقوق الإنسان، أي إنسان؟

إن شعبنا وثورتنا، وقيادتنا الشرعية في منظمة التحرير الفلسطينية، التي هي في حالة حرب حقيقية مع المحتلين، والتي تملك كل الحقوق للدفاع عن حقوق الإنسان الفلسطيني في العيش على أرضه بكرامة وحرية، لتحذر الإدارة الأمريكية من الاستمرار في موقفها المتعامي عما يجري في فلسطين عامة، وبيت ساحور خاصة، لأن مثل هذا العمل لا يعني لنا إلا أمر واحد هو: إن كل ما يُقال على السنة مسؤولي الإدارة الامريكية هو كلام مخصص للاستهلاك ومصمم من أجل إعطاء العدو المزيد عن الوقت للي ذراع منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق إطفاء جذوة الانتفاضة، وهذا يعني أن إدارة بوش، وهي كما يبدو نسخة من إدارة ريجان تمارس كل أنواع العداء ضد شعبنا وأمتنا، وتحلنا من كل تعهد لعدم اللجوء للكفاح.

فالشعب الذي تتعرض حياته للخطر بعد انتهاك حريته يستطيع بكل بساطة أن يذيق المعتدين من الكأس ذاته.

ستصمد بيت ساحور إلى النهاية، وستستمر الانتفاضة إلى النهاية؛ لأن هذه إرادة الشعب وإرادة الشعب من إرادة الله، وما من شعب صمم على الوصول إلى أهدافه إلا ووصل إليها. . . . أما المناورات الامريكية والمحاولات الرامية لتطويق الانتفاضة. . . واعطاء عدونا الوقت الكافي لضربها فستبوء بالفشل والله معنا.

عاشت انتفاضة شعبنا.

عاشت منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

عاش صمود وعصيان بيت ساحور

وإنها لثورة حتى النصر. . .[1].

(1) البيان 1989/1/30م.

ملحق رقم (2)

ماذا لو عانت مدينة امريكية مثلما تعاني بيت ساحور

افترضوا أن سكان مدينة امريكية صغيرة قرروا أن يحتجوا على السياسة الحكومية الفدرالية بحجب ضرائبهم، وافترضوا أن الحكومة ردت على هؤلاء الناس بإرسال الجيش إلى مدينتهم وقام الجنود بقطع جميع خطوط الهاتف عن المدينة، ومنعوا دخول الغذاء إليها، ومنعوا وصول أي زائر لها، وفرضوا منع التجول من السادسة والنصف مساء إلى الرابعة والنصف صباحا ودخلوا البيوت وأخذوا الاثاث والأشياء الأخرى التي تساوي قيمتها أكثر من الضرائب التي لم تدفعها الأسر بمرات، واقتحموا الدكاكين ورموا البضائع في الشوارع.

هل هو أمر لا يخطر على البال؟ في امريكا، نعم، إنه أمر لا يخطر على البال لكنه يحدث في كيان آخر، حاليا، والحكومة المسؤولة ليست نظاما مستبدا بعيداً، بل هي حكومة حليفة لأمريكا، حكومة أعجب بها الأمريكيون كموقع متقدم للديمقراطية والقانون في إسرائيل!

لقد سدّ الجنود الإسرائيليون منافذ مدينة بيت ساحور في الضفة الغربية، منذ الثاني والعشرين من أيلول، وقطعوا خطوط الهاتف، وأعلنوا أن المدينة منطقة عسكرية مغلقة، ومنعوا دخول أي شخص من خارجها ومن العالم الخارجي- إسرائيليين متعاطفين وصحفيين ودبلوماسيين غربيين، الاساقفة المسيحيون الذين حاولوا أخذ حمولة ثلاث شاحنات من الأغذية، منعوا من دخولها.

إن بيت ساحور مدينة يبلغ عدد سكانها خمسة عشر الف نسمة، جميعهم تقريبا مسيحيون، وتقع قرب مدينة بيت لحم، ، وأهلها من الطبقة المتوسطة، وخلال الصيف قرروا عماؤها كجزء من دورهم في الاحتجاج الفلسطيني على الاحتلال أن يتوقفوا عن دفع الضرائب الإسرائيلية، فدفع الضرائب بلا تمثيل ظلم في أية حال من الأحوال.

رغم الحصار فقد تم نقل الكثير من الأحداث التي جرت في بيت ساحور منذ الثاني والعشرين من أيلول، فقد استولى الجيش على ممتلكات تبلغ قيمتها اضعاف المطالبات الضريبية، كما قام الجيش بنهب المحلات التجارية.

وبالإضافة إلى ذلك قام الجنود بمضايقة الناس والإساءة إليهم.

اتصلت هاتفيا مع إسرائيلي يعرف المدينة جيداً، وهو هيليل باردين، مبرمج كمبيوتر في الجامعة العبرية في القدس، وكان طوال الثمانية عشر شهراً الأخيرة واحداً من مجموعة إسرائيليين يديرون حواراً مع مجموعة من أهل بيت ساحور يتبادلون الزيارات ويتحدثون عن سلام إسرائيلي فلسطيني.

بدأ باردين بالحديث قائلا: إن أبناء بيت ساحور الذين تحدثوا عن السلام قد عوقبوا.

وذكر اسمى شخصين في مجموعة الحوار معه هما جمال هلال وغسان انطون وقال: لقد تم اعتقال الرجلين أكثر من مرة، منذ تموز، ولم يستجوبا أو يتهما بأي شي، بل احتجزا لمدة ثمانية عشر يوماً، كما يسمح القانون في إسرائيل.

وقال باردين: في الاسبوع الماضي قام الجنود بضربهما بقسوة وهما في طريقهما إلى مقر الجيش حتى إن جمال لا يستطيع المشي، وهما الآن في السجن.

وفيما يتعلق بالاحتجاج على الضرائب، فقد قال باردين أن التقارير عن المضايقات واستخدام القوة من قبل الحكومة تقارير صحيحة، وقال أنه رأى رجلاً ينزف دماً عندما حمل الجنود أثاثة.

وفي صيدلة الياس رشماوي وضعوا كل الأدوية الموجودة في حاوية شحن ضخمة وتركوها تحت أشعه الشمس إلى أن تلفت جميع الأدوية.

إن أية حكومة تتصرف ضد الرفض المنسق لدفع الضرائب لكن الطريق الطبيعي هو التصرف وفق القانون- حجز الممتلكات وبيع ما يغطي قيمة الضرائب المطلوبة.

تملك إسرائيل هذه الإجراءات العلاجية القانونية، لكنها تستخدم القمع العسكري لتظهر للفلسطينيين- كما قال وزير الدفاع اسحق رابين بصراحة - أنهم لا يستطيعون أن يقاوموا الاحتلال.

إن المفارقة المفتعلة أن إسرائيل تشكو عندما يستخدم الفلسطينيون العنف، لكن بيت ساحور استخدمت وسيلة احتجاج خالية تماماً من العنف، بينما تستخدم إسرائيل العنف لسحقها.

كانت آخر فترة لدى أبناء بيت ساحور أن يقيموا الصلوات من أجل السلام في كنيسة الروم الكاثوليك في المدينة نفسها، وقد طلب أبناء بيت ساحور من الرئيس الامريكي جورج بوش وزعماء عالميين آخرين أن يرسلوا ممثلين عنهم فإذا فعلوا، فهل سيمنعهم الجيش الإسرائيلي؟

يشكو بعض المؤيدين الأمريكيين لإسرائيل من أن الصحافة تبالغ في الانتباه الذي تعطيه لأخطاء إسرائيل ومثال بيت ساحور يظهر أن الواقع القمعي للاحتلال غير معروف... للإسرائيليين أنفسهم أو للناس خارج إسرائيل.

فلو أنهم يعرفون ما يحدث، ولو أنهم يعرفوا أن الفلسطينيين الذين يريدون حلا سلميا هم الذين يتعرضون للعقاب، فإنني أعتقد أن المزيد من الإسرائيليين سيكونون مستعدين لإنهاء الاحتلال.

لقد قال باردين: إني إسرائيلي يهتم بأمن بلاده، واعتقد أنه لو استطاع الإسرائيليون أن يروا ما يجري لحققنا السلام[1].

نيويورك تايمز

(1) القبس الكويتية 1989/11/3، الرأي الأردنية 1989/11/9م.

المراجع

1. أنطون الشوملي: ديوان شعر، مركز الدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة- القدس- اللقاء1998م.

2. تقرير منظمة التحرير الفلسطينية «فتح» 1989م.

3. توما، بنوره: افرانا «تاريخ بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور» مطبعة المعارف، القدس1982م.

4. جمال بنوره: من التراث الشعبي في بيت ساحور، إصدار متحف التراث الشعبي- بيت ساحور 93م.

5. عيسى اسحق الساحوري: مجموعة كتابات ولقاءات شخصية.

6. قسطنطين خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية- مركز الأبحاث، بيروت1969م.

7. كل مكان وأثر في فلسطين: ترجمة ومطالعة عيد حجاج، منشورات مركز الدراسات العبرية، الجامعة الأردنية- عمان، ط1، 1990م.

8. فتح: صور وحكايات في ظل الانتفاضة.

9. محمد برهوم: قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطاني، دار الكرمل، ط1، عمان 1990م.

10. محمد سلامه النحال: فلسطين أرض وتاريخ، دار الجليل، حزيران، ط1، 1984م.

11. محمد شراب: معجم بلدن فلسطين، الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، 1996م.

12. مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

13. الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، دمشق، ط 1، 1984م.

المجلات والجرائد الرسمية والاذاعة

1 . الاتحاد الحيفاوية

2 . الأسبوع العربي

3 . الانباء الكويتية

4 . البيادر السياسي

5 . جريدة الدستور الأردنية

6 . جريدة الرأي الأردنية

7 . الرأي العام الكويتية

8 . رويتر

9 . شؤون سياسية

10 . صوت الشعب الأردنية

11 . جريدة الفجر

12 . مجلة القبس الكويتية

13 . القدس الفلسطينية

14 . مجلة الكرامة

15 . مجلة المجلة

16 . الوطن العربي

17 . الاذاعة الأردنية

18 . راديو إسرائيل

19 . مجلة بلسم، عدد (178)، مجلة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني عن مؤسسة سنابل للنشر والتوزيع، قبرص، نيقوسيا .

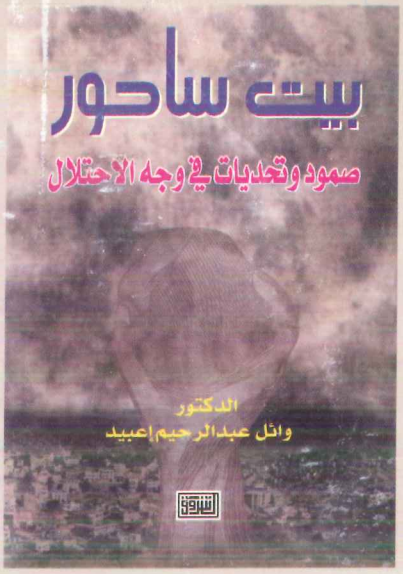

دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان/الاردن – تلفون ٤٦١٨١٩٠ – فاكس ٤٦١٠٠٦٥
دار الشروق للنشر والتوزيع – رام الله – المنارة – فلسطين – تلفاكس ٢٩٠١٦١٤
دار الشروق للنشر والتوزيع – نابلس – جامعة النجاح – تلفون ٢٣٩٨٨٦٢
E-mail: shorokjo@nol.com.jo

ISBN 9957-00-100-0 ردمك